الباب الثالث

وسائل انتقال الفكر اليهودي إلى التشيع المغالي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

بعض الرجال

عبدالله بن سبأ:

تجمع مصادر الشيعة القديمة فضلاً عن مصادر السنة على وجود هذه الشخصية، والدور الذي قامت به في الفتن الأولى بين المسلمين منذ مقتل الخليفة عثمان، كما أوردنا تفصيل ذلك في موضعه.

والحقيقة أنه لم يكن لعبدالله بن سبأ -اليهودي الأصل- وأفكاره وحدها الأثر في المسلمين، وإنما هناك أسماء عدة، ولكن لشهرته في موضع الفتنة والحرب بين المسلمين تركزت حوله الأنظار منذ القديم، وتناقلت المصادر أخباره وأفكاره، وعمت أفكاره على مجموع المعارضين آنذاك، كما أن فرق الشيعة ليست وحدها في وقوع أفكارها تحت تأثير بعض الشخصيات اليهودية، وإنما الحال قد حصل عند الشيعة وغيرهم من الفرق، كل حسب معتقده والظروف المحيطة به آنذاك، وربما لم يحفظ لنا التاريخ كل الشخصيات المؤثرة لسبب أو لآخر.

إن من المحقق عند المؤرخين اتصال العرب قبل الإسلام ومعرفتهم للشعوب السامية، وخاصة العبرانيين عن طريق قبائل الشمال (سوريا)، ثم عن طريق الجنوب (اليمن) والعراق، حيث انتشرت في هذه المناطق التعاليم اليهودية والنصرانية، وكانت كتبهم في متناول الراغبين وأحبار اليهود والنصارى وبيوتهم الدينية على تماس بالعرب على قدر مختلف [1]. فقبائل

(١) جواد علي، العرب قبل الإسلام، جـ ١، ص ١٧٤-٢٨٩.

وسط الجزيرة العربية أكثر بعداً عنهم، بينما القبائل العربية في اليمن والعراق ومصر والشام كانت أكثر قرباً واحتكاكاً بهذه التعاليم والمعتقدات [١].

إن بعض القبائل العربية دخلت في الديانة النصرانية قبل الإسلام، وكان لها تعاليمها الدينية وكنائسها المعروفة في الشام والعراق ومصر... وبعد ظهور الإسلام دخل كثير من أفرادها في الإسلام، وكانوا أداة انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين على أقدار مختلفة في الزمان والمكان والمقولة الفكرية.

لقد ذكرنا أنه لا يمكن إنكار الأثر الواضح من الإسرائيليات والمعلومات المتعلقة بالأنساب الموجودة في التوراة والتلمود على مفكري المسلمين جميعاً، فكتب السير مليئة بالقصص المأخوذة من العهد القديم، بل إن أسماء الأنبياء وما ورد في حقهم في القرآن الكريم دفع المفسرين المسلمين لمعرفة المزيد عنهم وعن أنسابهم من المصادر اليهودية[٢]، بل إن من المسلمين من قام بالنقل مباشرة من نصوص أهل الكتاب بشكل صريح وواضح ككعب الأحبار وهو يهودي دخل الإسلام، ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام، وهؤلاء لهم صلة وقرابة باليهود أو كانوا يهودًا. حتى من ولد من أبوين مسلمين من بعض المؤرخين المسلمين الأوائل اعتمد في مروياته على أهل الكتاب مثل محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وقد سمى أهل الكتاب بأهل العلم الأول [٣].

ومنهم أيضاً محمد بن سائب الكلبي وابنه هشام، وقد كان أبو يعقوب اليهودي من أهل تدمر يزورون الكلبي وغيره، ويعلمه بأخبار أهل الكتاب [٤].

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص ٣٠٧-٣٠٨.
(٢) جواد علي: المصدر السابق.
(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٣٦.
(٤) الواقدي، الطبقات، جـ١، ص ٢٩، القسم الأول.

وقد ذكـر الطبري في تفسيره: أن أناساً من اليهـود كانوا يكتبون كتباً، فيبيعونهـا أو يحدثون بها العرب، لقاء ثمن قليل، وأماكن هذه الأخبار كانت تخص اليمن والمدينة (يثرب) والعراق والكوفة [1].

لقـد أصبـح من المعلوم عنـد العلماء والمحققـين أن الأفـكار الإنسانية التـي حملتها حضارات البشر من القـديم وإلى اليوم، سواء وردت في كتبهم الدينيـة أو الفلسفيـة أو... ليست ملكاً لقوم دون آخريـن، بل كل أدلى بدلوه فيهـا وطورها، وأضاف إليها وأخرجها بالشـكل الملائم لحاجته وفكره، وفي بعض الأحيان تحصل استعارة لنص كامل كما سنرى برهان ذلك فيما بعد.

لا يعيـب الإسلام - وهو ديـن الله الحق كما أوحى به إلى نبيه ﷺ - أن يقـوم أهله وعلماؤه بالاجتهاد مستعينين بذلك التوضيح على ما في الديانات السماويـة الأخـرى بالقدر الذي لا يخرج عن معنـى الوحي المنزل، فمن شذ عـن ذلـك وذهب بعيداً في تبني فكرة لا صلة لها بالوحي كان له بقية العلماء بالمرصاد لإرجاعه إلى الحق، وإن أصاب أو لم يخطئ على الأقل سكت عنه، وقـد بحث الأصوليـون في مسألة شريعة أهل الكتـاب، وهل أن من شرائعهم يُعدّ شرعًا لنا أيضاً.

لقـد أثبـت المحققـون أن أفـكار المذاهـب الكلامية الأولى مـن قدرية وجبريـة،... كان سببهـا ومصدرهـا الأول مـا عنـد أهـل الكتـاب من فكر مشابـه لهـا، وليس هنا مكان بسـط هذا الموضوع، كمـا أن كثيراً من العرب اليهـود والنصـارى كان لهم دور كبير في علـوم الفلسفة والطـب والكيمياء والرياضيات، وليس هنا بسط الكلام في هذا الباب.

(١) الطبري، تفسير، جـ١، ص ٣٠٠، وجـ٣، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

إن المصادر القديمة ومنها الشيعية تكاد تكون مجمعة على وجود شخصية ابن سبأ، وأنه كان يهوديًّا من اليمن، أسلم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويبدو أن نشاطه السياسي والمذهبي منذ إسلامه ظل واضحاً لمن حوله، خاصة ما تعلق بيهوديته وأفكاره المتعلقة بالديانة اليهودية، التي حاول إدخالها وإقناع من حوله بها، ينقل الطبري تبرم الصحابي أبي الدرداء حيث قال له: من أنت؟ أظنك والله يهوديًّا. وطرده ابن عامر والي البصرة [1].

وتنقل ابن سبأ بين الكوفة والشام والبصرة، ولكنه استقر نسبيًّا بمصر، حيث وجد تربة بث فيها أفكاره على من نقموا على الخليفة.

إن أول من شكك في وجود شخصية عبدالله بن سبأ هم بعض المستشرقين، وبعض منهم ذهب إلى صحة وجوده، ولكن قلل من دوره الذي تعكسه المصادر العربية. فبرنالد لويس ينفي وجود هذه الشخصية، أما كيتاني المستشرق الإيطالي وفلاهوزن الألماني فقد قللا من دوره الفكري، وأن المصادر تبالغ في نسبة كل فكرة مخالفة للإسلام لابن سبأ.

كما أن طه حسين ذهب إلى أن ابن سبأ لم يكن إلا وهمًا [2].

ومن الشيعة المعاصرين الذين يذهبون إلى حقيقة وجود شخصية ابن سبأ محمد حسين العاملي في كتابه (الشيعة في التاريخ).

ويذهب المستشرق جولدزيهر إلى أن ابن سبأ أول من قال بتأليه الإمام علي رضي الله عنه [3].

---

(١) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص: ٣٤، ٢٨٣، ٣٢٦.
(٢) غلاة الشيعة، فتحي الزغبي، ص ٧٥-٨١.
(٣) العقيدة والشريعة، جولدزيهر، ص ٢٢٩.

لقد سلك بعض الباحثين الشيعة مجدداً إلى نفي وجود شخصية عبدالله بن سبأ بقصد مسبق، وهو التخلص من ادعاء أثره وآثار اليهودية على التشيع، وهو بحث عميق وجهد واسع مضنٍ، تمنيت أن يكون هذا الجهد في الطريق الصحيح للوصول إلى النتيجة التاريخية الصحيحة؛ لما لها من آثار كبيرة على مسيرة العقائد وتطورها عند الشيعة خاصة، بل الأصلح للعالم الإقرار بالحقيقة، فمسلك البحث في نفي شخصية ابن سبأ مسلك ليس فقط مناقضًا لمسلك حقائق التاريخ المتفق عليها عند علماء الشيعة والسنة (بل جميع الفرق الأخرى)، وإنما هو سباحة شاقة ومضنية عكس المنطق والفعل وطبيعة الأشياء، كما أوردناها في هذه المقدمة؛ وما عبدالله بن سبأ إلا لبنة صغيرة في جسر طويل زمناً عبرت منه الكثير من أفكار وتعاليم أهل الكتاب وغيرهم من الأمم الأخرى، يؤيد ذلك ما سنورده من أدلة ملموسة في كتب الشيعة نفسها.

إن سنة الاستعارة والاقتباس بين البشر من سنن الله في خلقه منذ الأزل، وهذه حقيقة مثبتة عند الدارسين للحضارات القديمة والحديثة، وقد قامت على برهانها شواهد من القديم والحديث لا يمكن إنكارها وإن سار أي إنسان بخلاف ذلك. وكم من شخصية غير عبدالله بن سبأ كان لها أثر في انتقال أفكار أهل الكتاب إلى المسلمين وفرقهم المختلفة، ولكن لم تعرف قطعاً أو أنها لم تشتهر كما اشتهرت شخصية ابن سبأ في التشيع.

إن عناصر الديانة اليهودية والنصرانية كما نقرؤها في مصادرهم اليوم هي الأخرى لا يمكن أن يدعي أنها أصيلة، إنما هي أفكار مقتبسة من أمم وحضارات قديمة. وقد قام الباحثون في مقارنة الأديان بدراسة هذه الأفكار، ووجدوا بينها تشابهاً كبيراً يدعو العالم إلى العجب والتمعن

واستخلاص العبرة والحقيقة التي ذكرناها، فمن فجر التدوين الذي وصلنا منه القليل عن الآشوريين والبابليين والفراعنة والعبرانيين وجميع الأمم السامية القديمة، وكذلك عند الأمم غير السامية من الإغريق والرومان نرى عناصر من هذه الحضارات وأفكارها، هي التي تكونت منها اليهودية مع تحويرات اقتضتها الظروف التاريخية والفكرية في وقتها. ولم يشذ التشيع ولا الفرق الأخرى عن ذلك[1].

أفكار عبدالله بن سبأ كما وردت عند الشيعة:

ذكر علماء الشيعة القدماء الباحثون في العراق ومنهم النوبختي شيعة الإمام علي ﷺ، وأنها افترقت بعد مقتله إلى فرق عدة، فالسبئية (نسبة إلى عبدالله بن سبأ) قالت: «إن عليًّا لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت، حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أول فرقة في الإسلام قالت بالوقف بعد النبي ﷺ من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب (عبدالله بن سبأ)، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ﷺ وتبرأ منهم وقال: إن عليًّا ﷺ أمره بذلك فأخذه علي ﷺ فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك، فصيره إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي ﷺ أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا ﷺ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة فقال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ في علي ﷺ بمثل ذلك، وهو أول من شهد القول بفرض إمامة علي ﷺ، وأظهر البراءة

(1) Roberson smith, Kinship and marriage, London, 1903, PP.204.

مـن أعدائه وكاشف مخالفيـه، فمن هناك قال من خالـف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية. ولما بلغ عبدالله بن سبأ نعي علي ﷺ بالمدائن، قـال للذي نعـاه: كذبت لو جئتنا بدماغـه في سبعين صـرة، وأقمت على قتله سبعـين عدلاً، لعلمنـا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتـى يملك الأرض»[1]. وقد نقلنا كلام النوبختي كما ورد، ومنه نفهم ما يأتي:

«إن السبئيـة أول فرقـة شيعية مـن الغلاة ومقولاتها التـي ذكرها هي مقـولات الشيعـة الغلاة. وذلـك أن النوبختـي سبق أن ذكر وهـو يعدد فرق الشيعـة: وفرقة قالـت: إن عليًّا كان أولى الناس بعـد رسول الله ﷺ بالناس لفضله وسابقته وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم وأسخاهم وأورعهـم وأزهدهم، وأجازوا مع ذلك إمامة أبي بكر وعمر ﷺ وعدوهما أهلاً لذلك المكان والمقام، وذكروا أن عليًّا ﷺ سلم لهما الأمر، ورضي بذلك وبايعهمـا طائعاً غير مكره وتـرك حقه لهما، فنحن راضـون كما رضي الله المسلمـين لـه ولمن بايع لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسـع منا أحداً إلا ذلك، وإن ولايـة أبي بكر ﷺ صارت رشداً وهدى، لتسليم علي ﷺ ورضاه، ولولا رضاه وتسليمه لكان أبو بكر ﷺ مخطئاً ضالاً هالكاً، وهم أوائل البترية»[2]. فهؤلاء هـم شيعة علي ﷺ الأوائل الذين لم تصبهم رياح التغيير، ولم تدخل عليهم عناصر الفكر الأجنبي من اليهودية أو الفارسية.

إن الشيعـة السبئيـة الغلاة هم أول فرقة شيعيـة قالت بفكرة (الوقف) بعـد النبي ﷺ. أي توقفـت عند نبوته ولم تقر بموته وأنـه سيرجع. ومن هنا نفهـم أن فكرة الوقف خـرج منها بالضرورة فكرة الرجعـة، وهذا يقود إلى فكـرة الغيبة. على مقولة: إنهـم يتوقفون عند موته فلا يقـرون لإمام بعده؛

(١) النوبختي. الفرق. ص٤٣- ٤٤.
(٢) النوبختي. الفرق. ص٤١-٤٢.

لأنــه لم يمت وإنما اختفى وغاب وسيرجع بعدئذ لموضعه في إمامة المسلمين، فلا تحل لأحد بعده. وهذه الأفكار الثلاث هي الخميرة الصغيرة الأولى التي بذرهــا عبدالله بــن سبأ. وتكررت هــذه الأفكار في الــتراث الفكري الشيعي عند فرق مختلفة، واتسعت تبريراتها وكثرت المقالات والاحتجاجات حولها، كمــا هو معلوم هذا الحــال عند وفاة النبي ﷺ؛ لأن ابــن سبأ احتج ضد من خالفه بالآيــة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وقال: عجباً لمــن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمــدًا يرجع[1]. وهذه فكرة معزية حقًّــا لــكل من فقد حبيباً له ينكــر أنه مات ويتعلق بوهــم رجعته، وما هي إلا غيبة يسيرة وسيعود، ومن الوفاء وجوب الانتظار.

تذكــر الروايــات أن عمــر بــن الخطــاب رضي الله عنه لمــا بلغــه وفــاة رســول الله ﷺ أنكــر ذلــك علــى من بلَّغــه، وكأنه يــرى أن مركــز النبــوة والعظمة المحيطــة مــن الله لرسوله ﷺ تمنع من موتــه، ولكن أبا بكــر الصديق رضي الله عنه رد علــى عمــر رضي الله عنه بالآيــة الكريمــة: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾.

تجمــع المصادر التاريخية على أن ابن سبأ كان يهوديًا فأسلم، وصاحب هــذه المقالــة على علــم بالتعاليــم اليهودية، فمن أيــن استعار ابــن سبأ هذه الفكــرة؟ لقد وردت هذه الفكرة ببساطة في التوراة تحكي قصة بني إسرائيل لمــا أخرجهم موسى عليه السلام من مصر وقادهم إلى سيناء وذهب إلى موعد ربه؛ لتسلــم تعاليــم الألواح وأناب أخــاه في قومه، فتأخر في الرجــوع إليهم. تقول التــوراة: «ولمــا رأى الشعب أن موسى عليه السلام أبطأ في النــزول من الجبل اجتمع

(١) الطبري. تاريخ. ج٣. ص٣٧٨.

الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا إلهًا....» فلما صنع لهم عجلاً له خوار، قالوا له: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ كما يحكي القرآن الكريم عنهم، فالقائد فقده قومه وتاهوا لا يعلمون عنه شيئاً، ولكنهم متعلقون به، وأنه سيرجع مؤكداً بعد غيبته.

كما تكرر تعلق اليهود بشخصية ستنقذهم مما هم فيه من مهانة وعبودية بعد سبيهم من قبل نبوخذ نصر وتهديم هيكلهم في القدس (٥٩٨ قبل الميلاد)، فظهرت نبوءاتهم القائلة بظهور المسيا الذي سيظهر، فينتقم من أعدائهم وسيجمع شملهم ويقيم دولتهم[١].

وربما قد استعار اليهود هذه الفكرة من الديانة الزرادشتية المنتشرة في العراق واليمن وقت خضوعهما للنفوذ الفارسي أمداً طويلاً. كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

يعتقد اليهود أن نبي الله إيليا لم يمت، إنما رفعه الله إلى السماء، وأنه سيعود في آخر الزمان وأن غيبته إنما هي إرادة من الله[٢].

إن عبد الله بن سبأ أول من قال بفكرة كون الإمام علي ﷺ وصي رسول الله ﷺ وإن منزلة علي ﷺ في الإمامة كمنزلة يوشع بن نون من موسى عليه السلام بمعنى أن موسى عليه السلام أوصى له بعده. وإن ابن سبأ أول من أظهر للملأ الطعن على خصوم علي ﷺ فكشف القول المنكر الذي لم يستطع الإمام علي ﷺ بزعمه البوح به؟ وهذه كلها كانت بذورًا صغيرة بذرها ابن سبأ والمعارضة عمومًا كان لها الأثر الكبير في التشيع، حيث تلقفها من بعده

(1) Enc. Islamica ;al-masih, Ghoyboh.

(٢) جولدزيهر. العقيدة والشريعة. ص١٩٢.

غـلاة الشيعـة، وبنوا حولهـا الطعن علـى صحابة رسـول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كما نعلم.

إن عبـدالله بن سبـأ إضافة إلى كونه يهوديًّا عارفًـا بالعقيدة اليهودية فـإن أصلـه مـن اليمن كما ذكرنـا، وقـد كان اليمن يحكم من قبـل الفرس وكانت الزرادشتية وتعاليمها مختلطة بالأفكار اليهودية، فليس ببعيد أن ابن سبـأ قد استعار فكرة الغيبة ومجـيء المنتظر من الديانة الزرادشتية، بل إن اليهوديـة قد تأثرت كثيراً بالديانة الفارسيـة القديمة، حيث تسربت تعاليم الزرادشتيـين إلـى أقوال الربان (رجـال دين اليهود) الذيـن أدخلوها حين تدوينهم للتلمود البابلي في العراق (بابل).

لقـد ذكرنـا قـول النوبختي: أن ابن سبـأ رفض تصديـق مقتل الإمام علي رضي الله عنه، وأنه لن يموت حتى يملك الأرض، وهذا يعني أنه ربما غاب وسيعود ليملك الأرض طبعاً. وهذه إشارة إلى فكرة الغيبة والرجعة بعدها، فمن أين جاء مصدر هذه الأفكار؟

نقلنا: إن فكرة رجوع النبي إيليا عند اليهود، وأنه إنما غاب في السماء وسيعـود في آخر الزمان، وهذه النبـوءة اليهودية اقتبسها اليهود من الفرس عند تدوين التلمود بعد السبي البابلي، وتعرضهم للمهانة والشتات في العراق وفارس، فهم في حال يتعلقون بأمل مستقبلي لزعيم يظهر ليقودهم من جديد، كما قادهم موسى عليه السلام، وأنقذهم من نير العبودية عند المصريين، وسينتقم من أعدائهم وكل من تسبب في آلامهم. وعقيدة الفرس الزرادشتية القديمة تؤمـن بظهور الابن الإلهي من ولـد بشتاسف بن بهراسف اسمه الشوثن، وأنه غائـب في حصن عظيم بين خراسـان والصين وأنه سيظهر آخـر الزمان[1].

(١) القاضي عبدالجبار. تثبيت دلائل النبوة. ج١. ص١٧٩.

إن اليهـود في العراق لا بـد أنهم سمعوا هذه الفكرة من الفرس، وهم في أمس الحاجـة لها خاصة رؤساءهم وأحبارهم مـن أجل أن يطمئنوا أتباعهم بأنهم لا بـد عائدون إلى أورشليم، ويقيمـون الهيكل المهدم، ويتعبدون مرة أخرى في ظل قيادة خارقة قوية تميت كل الشرور في النفوس، ويسود الأرض السلام، وادعى أحبار اليهود أن إلههم يهوه قد وعدهم بذلك، وأنه سيظهر (المسيا) كيف؟

ورد في سفـر أشعيا: «العذراء تحبل ولداً ابناً. يولد لنا ابن ونعطي ابنًا، وتكون الرياسة على كتفـه، ويدعى اسمه عجيب، ويكون إلهاً قديراً أبًا أبدياً رئيـس السلام، يجلـس على كرسـي داود وعلى مملكته؛ ليثبتهـا ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد....»[1].

ثم يتكلم السفر عن كيفية قضاء هذا المنقذ القائم، فيقول: «..... فلا يقضـي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسـب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه....».

وحينمـا يستتب الأمـر لهـذا القائـم المنتظر تبـدأ حقبة السلام، فيقـول السفر: «.... فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معاً. وصبي يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان تربض أولادهمـا معاً، والأسـد كالبقر يأكل تبناً ويلعب الرضيـع على سرب الصل، ويمـد الفطيم يده إلـى جحر الأفعـوان.....». «... ويكون في ذلـك اليوم أن السيـد يعيد يده ثانية؛ ليقتني بقية شعبه، التي بقيت في آشور ومن مصر... ويرفع راية للأمم، ويجمع منفيي إسرائيل....»[2].

(١) أشعيا. الإصحاح: آية ٦-٧.
(٢) سفر أشعيا ١٥:٧، الإصحاح ٦:٩ -٧ و١:١١ -١٠.

وبسبب هـذه التنبؤات والأماني المنتشرة بين اليهـود بفارس والعراق ظهـر أدعياء كثر بأنهم القائم المنتظر. ففي القرن الثامن الميلادي ظهر في بلدة شيربه الفارسية رجل ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بعودة اليهود إلى فلسطـين، وتكرر في القرن نفسه أيضاً ظهور يهودي اسمه أبو عيسى في بلدة أصفهـان ادعـى أنه المسيح وجمـع جيشاً من عشـرة آلاف مقاتل من اليهود منتهـزاً فرصة انشغال الدولة العباسية في عهد أبـي العباس السفاح، ولكن الخليفة المنصور فيما بعد شتت جيشه واختفى أبو عيسى. وفي القرن السابع عشـر ظهر في سالونيك رجـل يهودي اسمه سبتاي زئيفـي ادعى أنه المسيح المخلص لليهود من الظلم الذي لحقهم على أيدي الأوربيين، وتبعه الكثيرون الذيـن راحوا يبيعون ممتلكاتهم (١٦٢٦م) لأجـل العودة إلى فلسطين، وقد انتهـى به الأمر إلى السجن في قلعة الدردنيـل حتى رجع عن مقولته وأسلم، وسمى نفسه محمد أفندي[١].

إن الحاجة البشرية هي الدافع الأول في نشأة العقائد عند جميع الفرق في الأمم جميعاً، وإن أكثر الحاجات البشرية إلحاحاً هي الاستقرار والأمان على الأرواح والأموال والمعتقد السابق الموروث.

وهذه كلها تجمعها الدوافع السياسية عند البشر.

جمعـت حولها كثيرًا مـن المعارضين للحكم على اختـلاف أغراضهم. ويبـدو أن المصادر التاريخية والرواة الذين دونوا أخبار السبئية ربما عمموا أفكار المخالفين للحكم وأطلقوا عليهم السبئية؛ لغلبة هذه الفرقة أو المجموعة على المعارضة وقتها.

(١) أحمد شلبي. مقارنة الأديان. اليهودية. ص١٩٣ وما بعدها.

أ- ذكر الكشي في كتابه الرجال (القرن الرابع الهجري)، وهو من الكتب الموثقة عند الشيعة، روايات عدة عن الإمام الصادق وعن الإمام علي ابن الحسين ﷺ أنهم يلعنون فيها عبدالله بن سبأ بسبب مقالاته المنكرة في ربوبية علي بن أبي طالب ﷺ ويرمونه بالكذب[1]، وأورد الكشي في كتاب الرجال الاتهامات نفسها، وذكر الاسترابادي في منهج المقال: أن الإمام عليًّا ﷺ أحرق ابن سبأ لأفكاره وغلوه، وقد ذكر ذلك أيضاً كل من سعد القمي في كتاب المقالات والفرق، والشيخ الطوسي في كتابه الرجال، والتستري في قاموس الرجال، وعباس القمي في تحفة الأحباب، والخونساري في روضات الجنان، وكلها كتب موثقة شيعية إمامية، ولم يشك أحد في وجود هذه الشخصية إلا أخيراً.

من أوائل من تشكك في وجود شخصية عبدالله بن سبأ المستشرق برنارد لويس (في كتابه عن أصول الإسماعيلية)، وذلك استناداً إلى أن الآراء المنقولة عن ابن سبأ لم تكن آراء سنة ٣٥هـ التاريخ الذي نسب عند ظهوره، وإنما هي آراء ظهرت أخيراً بعد أكثر من قرن، وتابعهم في هذا الشك طه حسين وغيره من العرب.

والحقيقة لا يمنع القول بوجود ابن سبأ كون الأفكار المنقولة عنه أفكار القرن اللاحق له بحجة أنها عند التحقيق لم تظهر في عصره، وهذا القول فيه جانب كبير من الحقيقة، وذلك أن ابن سبأ كان موجوداً وحقيقيًّا، ولكن لم تكن جميع الآراء التي نسبت إليه قد قال بها. ولكن إذا جمعنا شتى الظروف تبين لنا أن هذه الأقوال مستمدة من الفلسفة، وما عند الديانات السابقة وعلى خلافهم، فإن أوائل المستشرقين قد أقروا بوجود

(١) الكشي، رجال، ص١٠٠.

هـذه الشخصية اليهودية مثل يوليوس فلهاوزن، حيث قال: «ومنشأ السبئية يرجـع إلى زمان علي والحسين ﷺ وتنسب إلى عبد الله بن سبأ، وكما يتضح مـن اسمه الغريب فإنـه كان يمنيًّا، والواقع أنه من صنعـاء، وهذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية..»[1].

زرارة بن أعين بن سنسن (من موالي الكوفة).

كان أبوه عبداً روميًّا لرجل من بني شيبان، فعرض الشيباني على عبده أعـين أن يُسمَّـى باسمه (الشيباني) على عادة العـرب، حيث كانوا يمنحون لقبهـم لمواليهم بعد إسلامهـم فرفض أعين، وقال لمـولاه: أبقني على ولائي سنسـن راهباً في بلد الروم[2]. وقد أعده النجاشي (شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدميهـم وكان قارئاً فقيهاً متكلماً)[3].وذكـر أن له تصانيف وكتبًا، ومن كتبـه التي يبدو أنها نُقُولٌ من فكر أهل الكتـاب إلى الفكر الإسلامي (كتاب الاستطاعـة والجـبر والعهود)، وقد سبق أن ذكرنـا أن أول من تكلم في هذه الموضوعـات هم أولئـك الرجال الذين كانوا على علـم بالديانات السماوية، فنقلوا إلى الفكر الإسلامي تلك المقولات في علم الكلام خاصة.

وقـد شهد الإمام الصادق على زرارة بأنه ليـس فقط من النصارى أو اليهـود، بل هـو شر منهم؛ لقبح المقـالات التي أدخلها، وادعـى أن الصادق والباقـر قـد قالا بهـا [4]. وقد تحايـل زرارة على الإمام الصـادق، فذكر أن الإمـام أعطـاه الاستطاعـة من حيـث لا يعلـم، أي إن الصادق أقـر بفكرة

(١) انظر يوليوس فلها وزن الخوارج والشيعة، ص ١٧٠، ترجمة عبدالرحمن بدوي.
(٢) الطوسي، الفهرست، ص ١٤١.
(٣) النجاشي، رجال، ص ١٢٥.
(٤) الكشي، رجال، ص ١٦٠.

الاستطاعـة عند الإنسان وأنه غير مجبر، وما ذلك إلا من المؤثرات السابقة والمختمـرة بفكر زرارة وأهله، فقد ذكرنـا أيضاً أنه اعترف بأن جده سنسن كان راهباً في بلد الروم.

إن آل أعين من البيوت الكبيرة في الكوفة كما يبدو من مصادر الشيعة؛ لأن الأخبار تفيد أن لزرارة جماعة يترددون عليه ذكر منهم يزيد بن معاوية العجلـي وغـيره، وقـد رد الإمـام الصادق على أحـد السائلين لمـا عليه أهل الكتـاب، فأجابه أن هذه من مسائـل زرارة. وعلق الصادق على ذلك قائلًا: إن آل أعـين يريـدون أن يكونوا على غلـب [1]. ومن أتبـاع زرارة أيضاً يونس (ابـن ضبان)، وقد لعنه الصادق أيضاً لاتباعه مقالات زرارة، وكذلك يذكر معهم أبو بصير والليث بن البحتري المرادي.

بيان بن سمعان النهدي اليمني:

انتقـل بيـان من اليمن إلى الكـوفـة، وكان من أتبـاع حمزة سالف الذكر، وكان يعمـل تبـانـاً بالكوفة، ينسب له مع الجعد بن درهم القـول بخلق القرآن، وادعى بيـان أن ابن الحنفيـة قد أوصى لـه، وأن الأمانـة في عقبـه، ثم ادعى كذلك النبـوة، وقال متأولًا: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وذكر أنه أرسـل للإمام محمـد الباقـر رسالة يدعي فيهـا النبوة، وطلب مـن الباقر اتباعـه، وسلم رسالتـه عمر بن عفيف فرد عليه الباقـر: أن يأكل قرطاسه، ونسـب إليه القول بحلول الألوهية في الإمام علي رضي الله عنه، وأن عليًّا رضي الله عنه هو الذي أرسله نبيًّا. ثم ادعى نفسه الألوهية عن طريق التناسخ الذي انتقل من الإمام

(١) الكشي، رجال، ص ١٣٤.

علـي ﷺ إلى ابنه محمد ابـن الحنفية، ثم إلى هاشم بـن محمد، ثم لبيان نفسـه، وهذا صريح مذهب الحلول المعروف عنـد الهندوسية والزرادشتية، ويذكـر أن بيانًا سبق هشام بن الحكم القـول بتشبيه الخالق بالجسم تعالى الله عن ذلك، ولكن بيان وخمسة عشر من أصحابه حرقهم الوالي خالد بن عبدالله القسري في الكوفة، وذلك سنة ١١٩هـ[١].

محمد بن نصير النميري:

قـد انشق عن الإماميـة وكان صاحب الإمام الحسـن العسكري، وذكر النوبختـي: أنـه ادعـى النبـوة، وذكر البعض أن طائفـة النصيريـة تنسب إليـه، ويذكـر أن خلفـاء النصيري هذا استمـروا على مذهبـه، وهم محمد بن جنـدب والحسين بن حمـدان الخصيبـي، وبعده بختيار بـن معز الدولة البويهـي الديلمـي الفارسي، وقد توفى محمد بن نصـير سنة ٢٦٠هـ، ونسب لـه أن روح الله قـد حلت به، بل ذكر عنـه ألوهية الإمام الحسـن العسكري، وأنـه قال بإباحة المحارم. كما نسب له النوبختي تحليله نكاح الرجال، ونسب لفرقـة النصيرية القول بالتناسخ للأرواح والإلهيـة للأنبياء والأئمة من دور إلـى دور، وذلك إلى يوم الحسـاب[٢]. كما نسب إلى النصيرية عبادة السماء والقمـر وعبـادة الهـواء، وهذه تُعـدُّ حقيقتهـا في رأيهم متجسـدة في الإمام علي ﷺ نفسه، قال بعضهم: إن السواد في القمر هو علي بن أبي طالب، ولكنه محجوب عن الأعين، فالقمر هو علي ﷺ ذاته، وعبادة القمر هي عبادة لعلي

(١) فتحي الزغبي، غلاة الشيعة، ص ١٣٤.
(٢) فتحي الزغبي، غلاة الشيعة، ص ٢٦٠

ﷺ، فهو الرب والإله[1]. والعناصر المجوسية الفارسية واضحة في عقيدتهم، بل إن عبادة القمر لدى الآشوريين والبابليين ولدى العرب في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام كما سبق، وأن علمنا ذلك واضحة جلية في معتقداتهم.

رواة الشيعة الذين كان لهم اتصال بأهل الكتاب.

نقل كثير من الرواة الشيعة عناصر من عقيدة أهل الكتاب اليهود والنصارى، وادعوا أنهم سمعوها من الأئمة. ويبدو أن أكثر العناصر الأجنبية التي دخلت على التشيع كانت من قبل عناصر فارسية؛ لأن أكثرية الرواة كانوا من الموالي الفرس، نقلوا أفكارهم وأفكار آبائهم وأجدادهم الأقدمين؛ لحاجتهم إليها في الاحتجاج إلى دعوتهم أو مشاركاتهم في الثورات، التي قامت ضد الدولة الأموية أو العباسية. ومع ذلك لم يسلم التشيع من دخول عناصر من عقيدة وأفكار أهل الكتاب خاصة اليهود، ذلك أن رجال الشيعة كانوا على مقربة من الجاليات اليهودية، التي كانت منبثة في العراق، خاصة في المدن القديمة التي سبق للفرس أن شجعوا اليهود أو منحوهم الحماية لاستيطانها كاردشير وماخوزا (المدائن) وطيسفون وشكنزب وسورا ويمباديتا ومخوزا (سلوفية) وغيرها من المدن الفارسية مثل ميديا التي ورد اسمها والجاليات اليهودية التي كانت تسكنها وأسماء الأحبار اليهود الذين كانوا يترددون على هذه الجاليات، لتفقد رعاياهم كل ذلك برعاية من الدولة الكسروية، وكان في بلاط كسرى في المدائن ممثل للجاليات اليهودية (سفير)[2].

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٢) كرستنس. إيران في العهد الساساني. ص٢٤ ترجمة الخشاب.

يبـدو أنه حتى المدن التـي أسسها الجيش العربي الإسلامـي أيام الفتح لم تسلم بعد ذلك من سكن اليهود بين ظهراني العرب والمسلمين عامة؛ لما عرف من تسامـح أهل البلاد المفتوحة منذ القدم مع هذه الأمم والديانات. ذكر الكشي أن الإمام الصادق قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلـف إليها، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريف. إن المغيرة كذب على أبـي، فسلبه الله الإيمـان...»[1]. وقد مثل الإمام جعفر الصادق المغيرة بن سعيد مثل بلعم بن عورا عند اليهود الذي قال المفسرون: إنه هو المقصود بالآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾[2].

وقـد كان المغيرة هـذا من أهـل الكوفـة، واليهودية التي يـتردد عليها لم تكـن طبعاً تسكـن وحدها، لما عرف عـن اليهود أنهـم يسكنون جماعات لا أفـراداً إلـى يومنا هذا في كل مـكان. والتردد لم يكن هدفـه الأساسي إلا فكريًّـا تعليميًّا، فهل كان المغيرة يلتقي معها فقط أم مع قومها أيضًا، فيتعلم منهـم ولا بـد أن المغيرة بن سعيد لم يكن هو الوحيـد في الكوفة الذي يصنع ذلـك، وإنما يقتضي الحال كل من كان على شاكلته وأصحابه. ولمعرفة مدى أثـر المغيرة بن سعيد في الفكر الشيعـي وما دسه من أفكار مغالية يجب تتبع مروياته في الحديث المبثوثة في كتب حديث الشيعة، فيا ترى كم من الأحاديث دسهـا المغيرة؟ ذكر في مقدمة تنقيح المقال، وهـو من كتب الرجال المعتمدة عنـد الشيعة: أن المغيرة نفسه اعترف قائلاً: «قد دسست في أخباركم أخبارًا كثيرة تقرب من مئة ألف حديث»[3].

(١) الكشي. رجال. ص١٩٦.
(٢) الكشي. رجال، ص١٩٨.
(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج١. ص١٧٤ (النجف).

هشام بن الحكم:

إن الإمـام الصـادق كان علـى علـم ممن ينتحـل التشيـع، ويدس به الأفـكار والعقائـد الأجنبية، وخاصة مـن أولئك الموالي الذيـن يأخذون من أهـل الكتاب، والذين أسلموا ظاهـراً، ولكنهم استمروا على بعض عقائدهم القديمة وأصروا عليها. ومنهم هشام بن الحكم مولى كندة وجماعته الذين نسبوا إلى مقولته في التشبيه والتجسيم للخالق تعالى الله عن ذلك وقد سبق أن أشرنـا إلى الحديث عنه في هـذا البحث وكان من أهل الكوفة، وقد سكن بغداد، وخلاصة أقواله في التجسيم ما يأتي:

إن الله جسـم وصـورة، واحتج بـأن الأشياء جسم وفعـل، فلا يجوز أن يكون الله الصانع هو الفعل، بل هو الجسم.

وقـد زعـم أن الخالـق بوصفـه جسمًا، فـإن له طـولًا وعرضًـا: كبقية الأجسام، وزعم أن طول ربه سبعة أشبار (بشبر نفسه).

إن علم الله محدث.

إن الإنسان مجبر جبراً شديداً.

إن الله نور ساطع يتلألأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها.

إن الله ذو طعم ورائحة ومجسة.

كان الله ولا مكان، فلما تحرك حدث المكان.

إن الله يعلم ما تحت الثرى بالإشعاع.

إن علم الله صفة له، وعلمه لا محدث ولا قديم، والصفة لا توصف.

إن الأنبيـاء يعصـون ربهـم. ويـرى عصمـة الأئمة مـن الذنـوب، بدليل أخـذ الرسـول ﷺ الفداء مـن الأسرى. فـإن أخطـأ النبي سـدده الله بالوحي. أمـا الإمـام فمعصـوم فـلا يحتـاج إلـى وحـي يسـدده. وهـو يؤمـن بإمامـة علي رضي الله عنه، كما يراها الشيعة الإمامية.

وهـذه الآراء ليست فقـط أفكار هشام بن الحكم إنمـا أيضًا نسبت أو بعضهـا لرواة مـن الشيعة أمثال يونـس بن عبدالرحمن القمـي وأبي جعفر الأحـول ومحمد بـن النعمـان صاحب الطـاق ومحمد بن جعفـر بن محمد الأسـدي الكوفي وهـارون بن سعدان وعلي بن ميثـم التمار وغيرهم كثير في مدرسة التجسيم والتشبيه[1].

صفـات الإلـه عنـد اليهود وتشابههـا بما يقول هشـام بن الحكم وأصحابه.

علم الله موسى وأصحابه من اليهود عدم التصريح باسم الإله (يهوه) احترامـاً لـه، وأن يكتفوا بالإشارة لـه، وقد انتقلت هذه الفكـرة إلى التشيع الإمامي، فمن التعاليم عندهم عدم التصريح باسم الإمام الثاني عشر، بل الاكتفاء بلقبه أو الإشارة إليه بالقائم. الغائب. صاحب السرداب.

عند خروج بني إسرائيل من مصر كان (الرب) يسير أمامهم في عمود سحاب نهاراً؛ ليهديهم في البرية، وليلاً في عمود نار.

حينما صعد موسى وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف، كذات السماء من النقاوة.

(١) الكشي. رجال. ص٢٧٠-٢٧٨. والمامقاني. تنقيح المقال. ج٣. ص٢٩٨-٢٩٩.

وقـد استعار هشام بن الحكم صورة العقيق الأزرق، فاستبدلها باللؤلؤ المضيء بالنور.

هيـكل سليمـان الذي يعبـده اليهود هو مقـر الإله يهـوه، وزخرفة هذا الهيـكل وتجسيمه قد أودعتـه الأنبياء كما يدعون، فهـو مسكن الأرواح، وبه المذبـح حيث قتل قائد جيش النبي سليمان عليه السلام، وهو ممسك بقرون العجل رمـز عبوديتهم ليهوه إلههم. وبسبب جهود عزرا في إعادة بناء الهيكل سمى اليهود عزرا (ابن الله)[1].

وجاء في التوراة: أن الله قد خلق آدم على هيئته، أو على صورته.

وقـد نقلت المصادر القديمة مقالات كثيرة من غلاة الشيعة في الكوفة، منهـم حمزة بـن عمارة البربري، فقد ذكر النوبختـي: أن هذا ادعى النبوة، وأن المختـار هـو الله (تعالـى الله عن ذلك) وقيـل: إنه قد نكـح ابنته وأحل المحـارم، ونقل عنه: أنه من عرف إمامـه فليصنع ما شاء. ويذكر النوبختي: أنه قد تبعه رجلان من نهد: الأول صائد، والثاني اسمه بيان[2].

ومـن هـؤلاء في الكوفـة أيضًـا عبدالله بن عمـرو بن حـرب الكندي، ويقـال: إنـه مـن تلاميذ عبـدالله بن سبـأ، فهو الـذي قـال برجعة محمد ابـن الحنفيـة، والقـول بالأسبـاط الأئمة الأربعـة علي والحسـن والحسين ومحمـد ابـن الحنفيـة . وذكر عنـه أنه قد تـأول هـؤلاء الأربعة مـن الآية: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ حيـث إن الله أقسـم بهم. وهؤلاء الأسباط هم الذين عناهم السيد الحميري:

(١) فتحي الزغبي. غلاة الشيعة. ص١٢٨-١٣٠.
(٢) النوبختي. فرق الشيعة ص٢٥.

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء

وادعى ابن حرب هذا رجعة ابن الحنفية وبيده معجزته سيف كعصا موسى، فيهز سيفه دون قرن الشمس، يراه جميع أهل الأرض وأهل السماء. كما ادعى ابن حرب: أن روح الله التي تناسخت في الأنبياء والأئمة، ومنهم ابن الحنفية انتقلت فحلت به[1].

إن أثر العقائد والأفكار القديمة استمر مؤثراً على التشيع حتى في العصور المتأخرة، وما انشقاق فرقة البابية من المذهب (الاثني عشري الشيعي) إلا مظهراً من هذه المظاهر، حيث ادعى الميرزا علي محمد في شيراز أولًا أنه هو الباب المقصود في المذهب، ثم ادعى أنه هو الإمام المنتظر عند الشيعة، ثم تجرأ وادعى النبوة ونسخ شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ.

وسنتعرض لهذه الفرقة في موضعه إن شاء الله، حيث انحرفت هذه الفرقة، واقتربت من مذهب الإسماعيلية في التأويل للجنة والنار ويوم القيامة، ومالت إلى فكرة التناسخ.

مالك بن الأشتر النخعي

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، ونسبه بعضهم إلى السبئية والقول بمقالة عبدالله بن سبأ، ذكر ذلك محمد بن يحيى المالقي في كتابه التمهيد والبيان. ومالك بن الأشتر من قبيلة مذحج من النخع. وله أدوار قتالية في جيش الإمام علي في الكوفة. وقيل: إن الخليفة عثمان رضي الله عنه سبق

(١) المصدر السابق.

أن غضب عليه وضربه. وفي سنة ٣٨هـ من خلافة الإمام علي رضي الله عنه ولاه الإمام على مصر، وكتب له كتابًا سمي (عهد الإمام علي لمالك الأشتر في توليه لمصر)، ذكر في نهج البلاغة يشتمل على توجيهات ونصائح سياسية. ولكن قبل وصول مالك الأشتر لمصر توفي في الطريق. قيل: توفي مسمومًا، كما تدعي المصادر الشيعية، التي ضخمت هذا العهد إلى درجة أنه أمسى مصدرًا من مصادر دستور الحكومة الإسلامية في إيران، ولا أدل على هذا التفخيم من اختلاف المصادر والرواة في نص هذا العهد.

الأسود بن يزيد

قيل: إنه من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونسب إليه أيضًا أنه من جملة السبئية التي قالت بمقولة عبدالله بن سبأ، ذكر ذلك محمد ابن يحيى المالقي في كتابه التمهيد والبيان. والحقيقة أن أمثال هؤلاء كثير، وكان الإخباريون يطلقون عليهم اسم السبئية.

عمرو بن ثابت بن هرمز البكري (ت١٧٢هـ)

وشهرته ابن أبي المقداد العجلي:

وهو من موالي عجل. روى عن أبيه وعن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وسماك بن حرب وغيرهم. أما الذين رووا عنه فقد ذكر منهم أبو داود الطيالسي ويحيى بن بكير وسعيد بن منصور وعباد بن يعقوب الرواجي وغيرهم [١].

(١) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ٢١٢ وما بعدها.

هذا ولم يوثقه البخاري، وقاله عنه النسائي: إنه متروك الحديث. وقال عنه أبو أحمد الحاكم: إن حديثه ليس بمستقيم. وضعفه يحيى بن معين وقال: إنه ليس بشيء. ولكن أباه ثقة، حيث روى أبوه عن شعبة وسفيان الثوري. وذكر عنه أبو زرعة أنه شديد التشيع واهي الحديث. وذكره ابن حبان في الوضاعين. وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل أيضاً: إنه كان يشتم عثمان. وترك ابن المبارك حديثه، وإنه كان يقدم الإمام عليًّا رضي الله عنه على الشيخين.

ومن المناكير التي رواها أن النبي ﷺ لما مات كفر الناس إلا خمسة، وفي رواية عنه أيضاً إلا أربعة. وقد سبق تناول هذه الرواية وقول الشيعة فيها. وذكر ابن المبارك سبب كون حديثه متروكًا أنه يسب صحابة الرسول ﷺ.

أما كتب الشيعة فتذكره في أصحاب الإمام محمد الباقر، وتذكر أن الباقر أو الصادق هو الذي سماه عمرو بن أبي المقداد، وهو مولى عجل كوفي تابعي. وأكثر محدثي الشيعة على توثيقه، لكن ابن الغضائري عده من المجروحين في كتابه الضعفاء والمذمومين. وذكر الخوئي أن المروي عن عمرو ابن أبي المقداد يبلغ نحو خمسين مورداً.

من ورد عنهم الوصية للإمام علي رضي الله عنه:

١- كُدَير بن قتادة الضبي المختلف في صحبته. وعند المحدثين يروي المراسيل، وعند أكثر المحدثين أنه تابعي. ذكر الحافظ العقيلي رواية عن سماك بن سلمة أنه دخل على كُدَير بيته فسمعه يقول في الصلاة: سلام على النبي والوحي. وقد ضعفه البخاري. وقال عنه الجوزجاني: إنه كان زائغاً[1].

٢- الأصبغ بن نباتة الكوفي التميمي. وكان من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، عيَّنه على شرطة الخميس قائداً. ومصادر السنة لا توثقه وتعده متروك

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. جـ٤٢ – ٤٦.

الحديث وغير ثقة، وبخلافهم مصادر الشيعة كما سيأتي تفصيل ذلك، وقد روى أحاديث منكرة وخارجة عن المعقول، ومما يتعلق منها بالوصية روايته عن الإمام علي ﷺ: «إن لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب، براثنه في الأرض السابعة، وعرفه تحت العرش له جناحان..... فكلما حضر وقت الصلاة قام الديك... ثم نادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، وأن وصيَّه خير الوصيين.. فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه..»[1].

وقد ورد في تفسير فرات أحد تفاسير الشيعة رواية مرفوعة عن الأصبغ ابن نباتة عن سلمان الفارسي قوله: «أقسم بالله لسمعت رسول الله ﷺ وهو يقول لعلي: يا علي، أنت والأوصياء من بعدي». أو قال: «من بعدك لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم وأعرا في لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه»[2].

من ورد عنهم القول بفكرة الرجعة:

يقصد بالرجعة هنا رجوع الميت إلى الحياة مرة أخرى، وقد كانت الفكرة عند أمم سابقة قبل الإسلام سبق أن تناولناها في موضعها، وكان أخصها وأقربها فكرة رجوع سيدنا المسيح وكونه لم يمت.

وأول ما ظهرت فكرة الرجعة بين المسلمين كانت بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ذكر بعضهم أنه سيرجع، ونسب ذلك إلى عبدالله بن سبأ والسبئية

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠ وما بعدها. الكشي: رجال. جـ٤٢ – ٤٦.
(٢) المصدر السابق: ص ٤٤.

عموماً. ثم ذكرت أيضاً بعد موت الإمام علي ﷺ وأنه سيرجع فيحكم العرب، ونسب القول أيضاً لعبدالله بن سبأ والسبئية. ويبدو أن الكوفة كانت موطن هذه الدعاوى؛ لاتصالها بالنصرانية والحيرة ومعرفة كثير ممن دخل الإسلام بفكرة رجعة عيسى أو غيره من الأنبياء عند الأمم السابقة، هذا وقد ورد القول بالرجعة عن بعض الصحابة والتابعين، منهم:

١- أصبغ بن نباتة التميمي الحنظلي الكوفي:

ذكر المحدثون في مصادر السنة أن أصبغ قد روى عن عمر وعلي والحسن بن علي وعمار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري. أما الذين رووا عنه فسعد بن طريف والأجلح الكندي وثابت البناني ومحمد بن السائب الكلبي ورزين بن حبيب الجهني.

وفي مصادر الشيعة ذكر ممن روى عنه طائفة منهم أبو الجارود زياد ابن المنذر الهمداني ومحمد بن داود الغنوي وإبراهيم بن مهزم ومحمد ابن الوليد ومحمد بن الفرات وأحمد بن أبي عبدالله والحارث بن حصيرة والحارث بن المغيرة، وإن أكثر مصادر السنة لا توثقه، فقد قال عنه أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي (ت ١٩٤هـ): إنه كان كذاباً. وقال عنه يحيى بن معين: ليس ثقة، وعند النسائي وابن حبان: إنه متروك الحديث. وقال الدار قطني: إنه منكر الحديث. وقال عنه الجوزجاني: إنه زائغ. وقال عنه ابن حبان: إنه فتن بحب الإمام علي حتى أتى بالطامات فاستحق الترك. وقال عنه البزار: إن أكثر أحاديثه في علي ﷺ لا يرويها أحد غيره. وقال عنه ابن سعد: إنه كان على شرطة علي ﷺ. وانفرد بتوثيقه أحمد بن عبدالله العجلي (ت ٢٦١هـ)، وذكر الحافظ العقيلي (ت ٣٢٢هـ) أن الأصبغ كان يقول

بالرجعة، وروى عنه بعض الشيعة ذلك. نقل العاملي عن أبي الفتح الكراجكي رواية عن الأصبغ أن معاوية سأله: إنكم تزعمون أن عليًّا دابة الأرض (إشارة لما ورد في الآية الكريمة) فقال: نحن نقول بما تقول به اليهود عن إليا. فقال معاوية: ويلك ما أقرب إليا من علياً. وتذكر مصادر الشيعة أنه من الموثوق بهم ومن أصحاب علي، روى عن الإمام علي عهده لمالك بن الأشتر حينما ولاه مصر. كما روى وصية الإمام علي لابنه محمد ابن الحنفية. وشرطة الخميس بضعة آلاف شارطهم الإمام علي على الجنة، على أن يكونوا في مقدمة جيشه ورجاله، يطلبهم في الملمات [1]. وسأل الأصبغ:

كيف سميتم شرطة الخميس؟ قال: أنا ضمنا له الذبح.

وتنسب رواية للأصبغ عن الإمام علي قوله: إن رسول الله ﷺ: «علمه ألف باب في الحلال والحرام مما كان ومما كائن إلى يوم القيامة، كل باب يفتح ألفًا حتى علمت علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب، وحتى علمت المنكرات من النساء والمؤمنين من الرجال».

وقد ورد في تفسير فرات الكوفي رواية تفيد اعتقاد أصبغ بالوصية لعلي، وأنه أي الإمام علي أفضل الأوصياء. كما نسب إليه القول بالرجعة على ما تقدم [2].

٢- رشيد الهجري الرياشي بن عدي الطائي (ت ١٢٨هـ).

ذكر أنه من أصحاب الإمام علي. وأنه روى عن أبيه، كما روى عنه سيف بياع السابري. لم يوثقه البخاري ولا النسائي، وقال عنه ابن حبان: إنه

(١) المصدر السابق. ص ٤٠ – ٤٢. د. سعدي الهاشمي: المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق. ص ٤٤ - ٤٦.

كان يؤمن بالرجعة. وقيل: إنه كان يرى بأن عليًّا هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. ففي رواية عن حبيب بن مهبان قال: «سمعت عليًّا على المنبر يقول: دابة الأرض تأكل بفيها وتحدث بأستها. فقال رشيد الهجري: أشهد أنك تلك الدابة، فقال له علي ﷺ قولاً شديداً»[1]. ومن المناكير التي رواها ما نقله ابن حبان والشعبي عنه أنه قال: خرجت حاجاً، فقلت: لأعهدن بأمير المؤمنين، فأتيت بيت علي، فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم، والله إنه يتنفس الآن نفس الحي، قال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل، فدخلت على أمير المؤمنين، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذباً فلعنك الله»[2].

أما مصادر الشيعة فتوثقه وتعدّ روايته السابقة دلالة على علمه بالبلايا والمنايا، كما قال المامقاني[3]. وتروي أن الإمام عليًّا أخبره أنه سيموت مقطوع اليدين والرجلين واللسان، فكان ذلك على يد عبيدالله بن زياد والي الكوفة، حسب رواية ابنته قنواء. ولقد تداولت مصادر الشيعة هذه الرواية وغيرها عن رشيد الهجري، واستفاضت في مدحه وتوثيقه، وأنه يصل إلى حد العصمة ومعرفة الغيب[4]. ومن هنا ندرك كيف دخلت على مصادر الشيعة القديمة تلك الأفكار الغالية، التي دفعت والي الكوفة إلى قتله، وقتل كثير ممن ادعوا أفكار الغالية كما هو معلوم، وأشير إلى أن مصادر السنة المتعلقة بالأنساب أو الرجال تخلو عن ذكر هذه الشخصية، مثل تاريخ الطبري وابن الأثير وابن كثير والإصابة لابن حجر وطبقات ابن سعد، وتهذيب الكمال

(١) المصدر السابق. ص ٤٨. عن ميزان الاعتدال. جـ٢. ص ٥٢. ولسان الميزان. جـ ٢. ص ٤٦١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المامقاني. تنقيح المقال. جـ١. ص ٤٣١.
(٤) المجلسي. البحار. جـ ٢٥. ص ٣٥١.

للمـزي، وتهذيب التهذيب لابن حجر وكتب الأنساب عند الكلبي أو ابن حزم في أنساب العرب.

٣- داود بن يزيد بن عبدالرحمن الأزدي الزعافري الكوفي الأعرج (ت١٥١هـ).

تذكـر كتب الحديث عند السنة أنـه روى عن أبيه، وعن كل من الشعبي والحكـم بن عيينـة وسماك بن حرب والمغـيرة بن شبيـل وإبراهيم النخعي وغيرهـم. أمـا الذين رووا عنـه، فمنهم شعبـة وأبو نعيم وخـلاد بن يحيى وسفيان بن عيينة ووكيع وغيرهم.

أما أقوال المحدثين فيه فهو عند أحمد وأبي داود وابن معين ضعيف. ولم يوثقه النسائي. وقال عنه العجلي: لا بأس به. يكتب حديثه. قد روى له البخاري حديثاً واحدًا في الأدب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان يؤمن بالرجعة[1].

٤- المغيرة بن سعيد العجلي الكوفي (ت ١٢٠هـ).

تنسب له فرقة المغيرية التي نشأت بالكوفة، حيث قد ذكرت المصادر أنه ادعـى النبوة، واشتغل بالشعبـذة والتمويه على ضعاف العقـول بالكوفة. قال عنـه يحيى بن معـين: إنه رجل سوء. وقال عنه ابن عبدالـبر: إنه كان ساحراً مشعبـذاً. قتله خالد القسري والي الكوفة وأحرقه، وتشير المصادر إلى أنه لم يكن عربيًا، وإنما كان مولى لخالد القسري. وقال عنه ابن حبان: إنه من حمقى الروافضـ بالكوفة ومن واضعي الحديث. وقالوا عنه: إنه زور على الإمام علي وعلى آل البيت أحاديث منكرة. وتذكر المصادر أنه كان أعمى، وكان على علم بالديانـات القديمة، خاصة المانوية والمندائيـة (الصابئة)، وقد ذكر العقيلي

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.

أن المغيرة بن سعيد يؤمن بالرجعة، وينتقص من الشيخين ويلعنهما. ونسبت له بعض الروايات قوله بألوهية الإمام علي وتكفير أكثر الصحابة. وزعم أن الإمام علياً يحيي الموتى. وأنه مسح على عيني أعمى فأبصر[1]. وتناقلت كتب الشيعة هذه الروايات واعتمدت تصديقها، كما هو عند الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، وقد جمع المجلسي في كتابه البحار جملة من معجزات الأئمة أسند بعضها للإمام علي عن المغيرة بن سعيد وغيره من الرواة؛ ولذا فإنه من الأهمية بمكان لمن يريد معرفة جذور التشيع، وكيف نشأ أن يتناول هؤلاء الرجال، ويستعرض أفكارهم وحياتهم؛ ليدرك كيف دخلت أفكارهم بعدئذ على التشيع وصدقتها الشيعة بمرور الزمن، وأصبحت مبادئ ومعتقدات لا يمكن الرجوع عنها أو إنكارها؛ لأنها من ضرورات المذهب[2].

٥- جابر بن يزيد الجعفي الكوفي:

روى جابر عن أبي الطفيل عامر بن وائلة وأبي الضحى مسلم بن صبيح وعكرمة وعطاء وطاوس وخيثمة والمغيرة بن شبل والشعبي.

وروى عنه شعبة والثوري وإسرائيل والحسن بن حي وشريك ومسعر ومعمر وأبوعوانة وغيرهم. وأما من روى عنه من الشيعة فقد ذكر بعضهم النجاشي منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف ابن يعقوب.

وصفه سفيان الثوري بالورع. ويظهر أن شعبة كان يتكلم في جابر، فلم يقبل منه الثوري ذلك. وذكر الإمام أحمد أن ما رواه شعبة عن جابر

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣.

يبلغ نحو سبعين حديثاً. وقال عنه يحيى القطان (ت ١٩٨هـ): «تركنا حديث جابر قبل أن يقدم علينا الثوري». كما ذكر أن عبدالرحمن بن مهدي ترك الرواية عن جابر بعد أن كان يروي عنه.

٦- محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن الكلبي (أبو النضر الكوفي) (ت ١٤٦هـ).

وقد روى ابن الكلبي عن أخويه سفيان وسلمة وعامر الشعبي والأصبغ ابن نباتة وأبي صالح مولى أم هانئ.

كما روى عنه كل من ابنه هشام وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وحماد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج وغيرهم كثير، أما قول أهل الجرح والتعديل فلا يوثقونه عموماً، فقد قال فيه أبو حاتم: إن أهل الحديث مجمعون على ترك حديثه. ولم يوثقه النسائي، وقال عنه الدارقطني وغيره: إنه متروك الحديث. روى ابن أبي حاتم بسنده قول ابن الكلبي: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد ﷺ فنفثوا في فيَّ، فحفظت ما كنت نسيت.

وقد عجب بعض أهل الحديث كيف أن سفيان الثوري يروي عن ابن الكلبي وهذه حاله، فقيل: إنما يروي على سبيل إيضاح حالة صحيحة من سقيمها؛ ليحذر منه.

هذا وقد تناولت كتب التفسير بعض الروايات عن الكلبي، ويسند الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس، وتحقيق العلماء في هذه الرواية أنها باطلة؛ لأن أبا صالح لم يرَ ابن عباس مطلقاً.

ومـن المناكـير التي رويت عـن الكلبي هـذا أن جبريـل كان يوحي إلى النبـي ﷺ، فقام النبي لحاجتـه وجلس علي فأوحى إلى علـي. قال عنه ابن حبـان: إنه كان سبئيًّا. وكان من الذين يقولـون: إن عليًّا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا[1].

٧- عثمان بن عمير البجلي الثقفي الكوفي الأعمى (ت ١٥٠ هـ).

وقـد روى عثمان هذا عـن أنس وزيد بن وهب وأبـي الطفيل وعدي بن ثابت وأبي حرب ابن أبي الأسود.

وقـد روى عنـه حصين بـن عبدالرحمـن والأعمش وحجاج بـن أرطأة وسفيان الثوري ومهدي بن ميمون وشريك.

أمـا أهـل الحديث فلـم يوثقه أكثرهـم، فقال عنه ابـن معين: «ليس بشـيء». وعند الدار قطنـي: أنه متروك الحديث. وعنـد الحاكم: أنه زائغ. وقـال ابن عبدالبر: «كلهم ضعفه». وذكر البخاري: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن عدي: «رديء المذهب غالٍ في التشيع، يؤمن بالرجعة، على أن الثقات قد رووا عنه مع ضعفه»[2].

٨- عمرو بن جابر الحضرمي:

ومـن شيوخ عمرو الذين روى عنهم جابر بـن عبدالله وسهيل بن سعد وعبدالله بن الحارث وعمر بن علي بن أبي طالب والأعمش.

(١) النجاشي. رجال. ص ١٤٠-١٤٦. د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق.
(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٤.

أما من روى عنه فكثير، منهم ابنه عمران وعكرمة بن عمار وسعيد بن أبي أيوب وأبي لهيعة وبكر بن مضر وهانئ بن المنذر الكلاعي.

نقل عن أحمد بن حنبل أنه قد بلغه أن عَمْرًا كان يكذب. كما قال: إنه قد روى عن جابر مناكير. قال عنه الجوزجاني: إنه غير ثقة وعلى حمق وجهل. قال عنه الأزدي: إنه كان كذاباً. ولكن أبا حاتم ذكر أنه صالح الحديث. ومن المناكير التي رويت عنه أنه كان يقول: إن الإمام عليًّا ﷺ يرى في السحاب. هذا وقد صحح الترمذي حديثه. وروى أكثر من واحد أن عَمْرًا هذا كان يقول إذا مرت به سحابة: «هذا علي بن أبي طالب قد مر في السحاب»[1].

٩- ثابت بن أبي صفية الثمالي الملقب بأبي حمزة (ت ٨٣هـ).

سبق أن ذكرنا أقوال العلماء فيه: أنه من الذين كانوا يشتمون الخليفة عثمان بن عفان ﷺ في الكوفة. وهو الذي ورد عنه حديث (دعاء صنمي قريش).

قال عنه العقيلي فيما روي: أنه يؤمن بالرجعة[2].

وفي تفسير فرات وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة روايات كثيرة عن ثابت الثمالي توضح تأويل الثمالي لكثير من الآيات: أن المقصود منها علي بن أبي طالب منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي بولاية علي. ونسب له أيضاً قوله: إن الآية تقرأ: (وإذا قيل لهم ما أنزل إليكم في علي قالوا أساطير الأولين). كما روي عنه. (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني، ولقد ذكرنا عليًّا في هذا القرآن. كما نقل عنه رواية منكرة يتهم فيها أن علم

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٥٨

(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٦٤. وص ١٧٥.

النبـوة لم ينقطـع وإنما جعله معه في علي وذريته. هـذا إضافة لما نقلناه من اعتقاده بالوصية وما نسب إليه من القول في حق بعض الصحابة إنهم أعداء الله. ونسب ذلك للإمام محمد الباقر[1].

١٠- زيـاد بـن المنـذر النهـدي الهمـداني الملقب بأبـي الجـارود أو سرحوب (ت١٥٠هـ):

وقـد روى عن عطية العوفي وأبي الجحـاف داود بن أبي عوف والأصبغ ابن نباتة وأبي الزبير وأبي جعفر.

أمـا مـن روى عنه فمنهم مروان بـن معاوية الفـزاري ويونس بن بكير وعلي بن هاشم بن البريد ومحمد بن سنان العوفي.

وزياد لم يوثقه أكثر أهل الحديث، فهو عند أحمد ضعيف ومتروك وكذلك عنـد الدارقطني والنسائي. وقال عنه ابـن معين: ليس يساوي فلساً. وعند أبي حاتم: أنه منكر الحديث. وقال عنه ابن حبان: لقد كان يضع الحديث في مثالب الصحابة. وقد روى له الترمذي حديثاً واحداً في صفة يوم القيامة.

وتنسب فرقة الجارودية أو السرحروبية إلى زياد بن المنذر وآرائه، فقد ذكـر النوبختـي: أن من آرائهـم أن الإمام عليًّا أحق بالولايـة، وأن من دفعه وتقـدم عليـه كافر، وجعلوا الإمامة بعده لابنه الحسـن، ثم الحسين، ثم هي شورى في أولادهما. ومن خرج مستحقاً الإمامة فهو الإمام، وعن هذه الآراء تشعـب الزيدية. ونسبوا لـه القول: إن الرسول ﷺ قد نصـ على إمامة علي بالإشارة دون التسمية أو التعيين، وينسب البغدادي إلى الجارودية اعتقادهم بتناسخ الأرواح، وأن أرواح الأئمة والأنبياء متولدة.

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٤.

ويسند أبو الجارود رواياته للإمام أبي جعفر الصادق، وهي منتشرة في كتب الشيعة، ومنها كتاب الأصول للكليني وعموم الكتب الأربعة، وكثير من روايته أن الإمام ينظر من الخلف كما ينظر من الإمام [1]، وتختلف المصادر في نسبه، فمرة تذكر أنه نهدي، ومرة أنه ثقفي، ومرة أنه هندي، وربما يكون السبب في ذلك أنه غير عربي وإنما كان مولى.

١١- محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي (ت ٣٢٦هـ):

وقد روى محمد بن القاسم عن علي بن المنذر الطريقي وأبي كريب، وروى عنه الدارقطني ومحمد بن عبدالله القاضي الجعفي.

قال عنه الحافظ أبو الحسن بن حماد الكوفي: «كان يؤمن بالرجعة...»[2].

هذا وقد أنكر كثير من أصحاب الإمام علي رضي الله عنه فكرة رجعته بعد مماته، منهم عاصم بن ضمرة وهو من أصحاب علي، كما أن أئمة من أهل البيت أنكروا ما كان يروج عن بعض أصحاب الإمام علي من رجعته، منهم ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد ورد في مسند الإمام أحمد أن عاصم بن ضمرة رضي الله عنه قال للحسن بن علي: «إن الشيعة يزعمون أن عليًّا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه»[3] [4].

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ١٨٠ – ١٨٤.
(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٨.
(٣) مسند أحمد. جـ٢. ص ٣١٢.
(٤) يمكنك الرجوع إلى الاثني عشر رجلًا من رواة الحديث الذين أدخلوا التراث اليهودي للتشيع، خاصة صراحة بن خصيرة ص ٣٢٥-٣٣٩، وكذلك الأحد عشر رجلًا الذين ورد عنهم بعض أفكار الغلاة. ص ٣٤٠ – ٣٤٨.

وأخيرًا: نود أن نشير إلى أن هناك الكثير من غلاة الشيعة الذين من المحتمل أنهم كانوا يؤمنون بفكرة الرجعة، ولكن لم تذكر المصادر عنهم ذلك بالتحديد من أمثال أبي منصور العجلي البكري، الذي تنسب إليه فرقة المنصورية، وكان أصحابه كما تذكر المصادر يستحلون قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم، وقد قتله يوسف بن عمر الثقفي، ثم صلبه.

نماذج ممن ورد عنهم بعض أفكار الغلاة:

١- فرات بن الأحنف بن مشرح بن أبي بحر الهلالي الكوفي.

روى فرات عن أبيه وعن عقبة بن حريث.

وروى عنه مالك بن سعيد بن الخنس وعبدالواحد بن زياد ومروان الفزاري ومحمد بن فضيل وعبده بن سليمان ووكيع.

وقد وثقه أبو حاتم الرازي ويحيى بن معين. ولكن الذين جرحوه كثيرون، منهم ابن حجر وأبو داود وسفيان والنسائي. وفي رواية لابن حبان بسنده عن ابن نمير: أن فراتًا كان ممن يقول: علي بن أبي طالب في السحاب. وقال عنه ابن حبان: إنه كان غالياً في تشيعه، لا تحل الرواية عنه، ولا الاحتجاج بروايته. وقال عنه الذهبي: هو من غلاة الشيعة.

أما مصادر الشيعة فمختلفة في حاله: قال عنه الطوسي: إنه من أصحاب علي بن الحسين. وقال عنه: إنه يرمى بالغلو والتفويض. وذكر الأردبيلي أسماء من رووا عنه، منهم عمرو بن مصعب وأحمد بن محمد بن خالد البرقي. وقال: وروايته عنه مرسلة؛ لأن زمانه بعيد عن زمان فرات. كما ذكر أيضاً من الأسماء عمرو بن عيسى وعثمان بن عيسى ومحمد بن سنان.

وفكـرة التفويض من أفكار الغـلاة، وقد ظهرت مذاهـب من المفوضة الذيـن يقولـون: إن الله سبحانـه وتعالى خلـق محمدًا ﷺ وفوض إليه أمر العالم. ثم ذهب بعضهم إلى نقل فكرة التفويض إلى الإمام علي رضي الله عنه.

وقـال عنـه أحمد بـن الحسين (ت ٤١١هـ) الملقب بابـن الغضائري: زعمـوا أنه غالٍ كذاب، قـال عنه العقيلي: «.... إنـه كان يقول في محمد ﷺ شيئاً من القديم» وهو يرمز لفكرة التفويض. وقال عنه ابن داود: «... يرمى بالغلـو والتفويض القول. غـالٍ كذاب». وقال عنه المامقـاني: «... والرجل لا يمكـن إصـلاح حاله مع هذه المـذام...» ومع كون الرجل هـذه حاله في كتب الشيعة، فإن الكليني قد اعتمد رواياته في كثير من أبواب الكافي [1].

٢- أبو القاسم نصر بن الصباح البلخي (من رجال المئة الثالثة):

لا توثقه كتب رجال الشيعة القديمة. ذكر الطوسي أنه من أهل بلخ الشيخ، وقال: «قيل: كان من الطيارة غاليًا». ولفظ الطيارة إما أن المقصود به الارتفاع إشـارة إلـى الغلـو أو أنه إشـارة إلى مذهب الطيـارة من الشيعـة الذين كانوا يعتقـدون أن الأئمـة (أو الشيعة أصحاب هذا المذهـب) لا يموتون، وإنما تطير نفوسهم في الغلس. وفي هذا إشارة إلى أفكار الزرادشتية وتناسخ الأرواح.

وذكـر الكشي أنه من الغـلاة، وكذلك فعل النجاشي، ولكـن كتب المتأخرين على عادتهم يوثقونه، منهم المامقاني ومحمد بن إسماعيل الحائري وغيرهم [2].

٣- علي بن حسكة القمي:

قال عنه الكشي: إنه من الغلاة في وقت الإمام علي بن محمد العسكري، ونقل رواية عن الإمام أبي الحسن العسكري يلعن فيها علي بن حسكة وتلميذه

(١) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٠١ – ٢٠٦. النجاشي. رجال. ص ٤٢.
(٢) سعدي الهاشمي، المصدر السابق. ص ٢٢٠.

القاسم اليقطيني؛ لأن شيطاناً يتراءى للقاسم، فيوحي إليه زخرف القول غروراً.

كما نقل رواية أن بعض أصحابهم كتب إلى الإمام أبي الحسن العسكري يسأله عن حال علي بن حسكة، الذي يرى: «أنه من أولئك وأنت أنت الأول القديم، وأنه بابك ونبيك، أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك...» فكتب إليه الإمام بلعن ابن حسكة وتكذيبه.... وقال: «فإن وجدت منهم أحداً فاخدش رأسه بحجر»[1].

٤- القاسم اليقطيني الشعراني القمي أبو الحسن بن علي بن يقطين بن موسى مولى بني أسد.

ذكر الطوسي أن الرجل يرمى بالغلو. وقال عنه الكشي: إنه كان يدعي أنه باب وأنه نبي.

وذكر ابن الغضائري أن أهل قم يرمونه بالغلو، ولكن فيه الخير، وذكر الخوئي أنه من الضعفاء بشهادة ابن الوليد. خاصة ما ذكر من فساد عقيدته. وقد أورد الكشي روايات تدل على تأويل القاسم اليقطيني وعلي بن حسكة إلى كون الصلاة والصيام والحج و... إنما تدل على رجال ولم يقصد بها حقيقتها. وإن الإمام أبا الحسن العسكري قد أمر باعتزالهم[2].

٥- رشيد الهاجري الطائي:

سبق الحديث عنه وأنه من أصحاب الإمام علي، وأنه من الذين كانوا يؤمنون برجعة الإمام علي، أو أن الإمام عليًّا هو المعني بدابة الأرض. وإنه

(١) سعدي الهاشمي، المصدران السابقان.
(٢) المصدران السابقان

كـان يدعي معرفة سـر آل محمد ﷺ الذي به يكلم الموتى. وأنه ادعى وطلب تكليـم الإمـام علي في قـبره، وادعى أنـه يسمعه، وأنه يتنفـس في قبره. كما ادعـى أن الإمام عليًّـا أخبره بأسرار ستقع وهو في قـبره. كما كان يدعي أن الإمام عليًّا قد علمه علم البلايا والمنايا. وأن الله قد من عليه بالعصمة عن مخالفة الرحمن[1].

هذا وانظر آراء العلماء السنة والشيعة فيه كما مر سابقاً.

٦- المغيرة بن سعيد (ت ١٢٠هـ).

سبق الحديث عنه وأقوال علماء السنة والشيعة فيه، ويهمنا استعراض أهم الآراء الغالية التي ادعى بها، كما وردت في المصادر الموثوقة:

١- ادعى النبوة بالكوفة، وكان قد شغل أهل الكوفة بادعاء الشعبذة وإشعال النـيران، فتبعـه خلق كثير مـن ضعاف العقـول، الذين صدقـوا سحره ودعواه، فسموا بالمغيرية.

٢- اعتقاده برجعة الإمام علي إلى الدنيا.

٣- لعنه وانتقاصه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

٤- ينسب للإمام علي الخوارق التي لا تصدق: كالمسح على الأعمى فيبصر، وإحياء الموتى و... وقد صدق بعض علماء الشيعة هذه الأقوال، وأوردوها في كتبهـم، منهم الشيخ المفيـد في كتابه المسائل والإرشاد وغيرها، وابن شهرأشوب في كتاب المناقب والمجلسي في البحار وغيرهم.

---

(١) رجال. ص ٤٩.

٥- كما ادعى أنه وصي لبعض الأئمة من الشيعة، ثم ادعى أنه هو نفسه إمام، وأكد إمامة أبي عبدالله جعفر بن محمد رضي الله عنه، حسبما أورد ذلك النوبختي في كتابه (فرق الشيعة)[١].

٦- ثم ادعى النبوة وأن جبريل يأتيه بالوحي حسبما ذكر النوبختي. كما ادعى أنه يحيي الموتى.

٧- وردت له تأويلات باطنية لآي من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي بعلي بن أبي طالب. والإحسان: فاطمة. وإيتاء ذي القربى: الحسن والحسين.

وقد وجدت هذه الآراء صدى عند بعض مفسري الشيعة، فقد ورد في تفسير فرات بسنده أن الإمام علي قال: «... ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر، ولقد وفدت على ربي اثنتي عشرة وفادة، فعرفني نفسه، وأعطاني مفاتيح الغيب... أنا قال الله فيه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

وذكر النوبختي: أن بيانًا هذا قد ادعى أنه نبي، وأنه قد نسخ بعض شريعة محمد ﷺ. كما ذكر البغدادي أنه ادعى الربوبية، أي إن الله قد حل به، وزعم أنه هو المقصود بالآية: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾. وقال: أنا البيان. كما ادعى بالتناسخ والرجعة. وتجرأ فأرسل إلى الإمام محمد الباقر يطلب إليه أن يؤمن به، وقد وصمه الإمام بالكفر واللعن[٢].

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٨٥

(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥١. البغدادي. الفرق بين الفرق. ص ٢٣٧.

جابر بن يزيد الجعفي:

لقد تم ذكره وآراء العلماء فيه ومدى توثيقه ورأيه المتعلق بالوصية من النبي ﷺ للإمام علي بالإمامة، وأنه يؤمن بالرجعة، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من المصادر تنسب إلى جابر بن يزيد الجعفي آراء أخرى، فقد وصفه يحيى بن يعلى بأنه كان يؤمن بالرجعة. ونقل عنه أنه كان يشتم بعض الصحابة. ونادى بانتقال الإمامة من علي إلى أبنائه. كما نسب لجابر أنه ادعى أنه الباب والواسطة بين الشيعة في الكوفة والإمام محمد الباقر ومن بعده جعفر الصادق. وهذه الآراء نقلتها لنا مصادر الشيعة القديمة خاصة، ففي كتاب الغيبة للنعماني أحاديث تنسب لجابر قوله ورأيه بالوصية[1].

ونقل الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد روايات مسندة إلى جابر بإيمانه بانتقال الإمامة من معصوم إلى إمام معصوم آخر من آل محمد، وأنه يكون هو القائم[2]. كما أورد الكليني في الكافي روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، ويؤمن جابر بأن العلم انتقل من النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب، ومنه انتقل من الإمام إلى الذي يليه. وقد قال المامقاني عن جابر: إنه كان باباً للإمام محمد الباقر، ومن بعده الإمام جعفر الصادق، وعلى ذلك وثقه برغم ما قيل فيه من قدح. وهذا هو رأي الشيعة النصيرية القائلين: إن جابراً كان باباً للإمام الصادق. والباب هو مدخل العلم والأسرار: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وعلى ذلك لا يحصل العلم دون الدخول إليه من الباب، والإيمان بالمعصومين الاثني عشر.

(١) النعماني. الغيبة. ص ٩٦، ص ٩٢-٩٦.
(٢) المفيد. الإرشاد. ص ٥٢٦.

ونقل عن جابر: أنه كان يدعي أن علي بن أبي طالب هو دابة الأرض المذكورة في القرآن. وأنه يعلم سر السلام على الإمام المهدي، ولما سأله أحد أصحابه كيف ذلك رد عليه: إن قلت لك كفرت.

كما نقل أن جابراً ادعى أن المغيرة بن سعيد قد أوصى له قبل موته. وادعى أن للأئمة المعصومين صفة إلهية وأنهم يعلمون الغيب، ونسب لجابر مخاريق لا يصدقها عقل، فيها إيحاء بأنه يعلم الغيب، ويرمي الخاتم بنهر الفرات، ثم يدعو الخاتم فيجيء، وفيها ما يفهم أنه يعلم لغة الحيوان وما تقوله الشاة لولدها. وعنده قوى كرفع سقف البيت، لأن ينظر الرأي ملكوت السماوات[1].

وقد انقسم علماء الشيعة في توثيقه أو جرحه. فهو عند البرقي والطوسي وابن الغضائري من الموثوقين، وكذلك عند البربري والحر العاملي والمامقاني والمجلسي من الثقات.

أما من ضعفه ولم يوثقه فهم قلة من القدماء منهم النجاشي، أما من المتأخرين فقد ضعفه ابن داود الحلي[2].

هذا، وتورد مصادر الشيعة القديمة آراء غريبة لجابر متعلقة بالقرآن الكريم، يستفاد منها أن القرآن قد أنقص منه. روى الكليني بسنده عن جابر أنه قال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله» كما أورد الكليني روايات عدة عن جابر بهذا المعنى، وأن القرآن لم يجمعه أحد كما أنزل، إلا الإمام علي[3].

(١) الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ١٩٠ – ١٩٧.
(٢) د. سعدي الهاشمي. الرواة الذين تأثروا بابن سبأ. ص ١٢٥.
(٣) الكليني. الأصول. جـ١. ص ٤١٧.

وقد نقل الشيخ المفيد رواية عن جابر أنه كان يقول بإباحة إعارة فرج الأمة. وقد أيد هذه الرواية الشيخ الطوسي في كتاب الاستبصار مسنداً الإباحة من الإمام الصادق. ونسب لجابر رواية عن الصادق أن الرسول ﷺ قال لعلي فيما قال: «لتبلغن الأسباب، والله لتركبن السحاب». ثم ذكرت رواية أخرى: «والله لتؤتين خاتم سليمان وعصا موسى»[١].

أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني النهدي:

سبق الحديث عنه وأقوال العلماء من الفريقين، وإنه كان من المعتقدين بأن الإمامة لعلي رضي الله عنه كانت بالنص من الرسول ﷺ عن طريق الإشارة. فهو ممن يؤمن بالوصية ولكن على نحو آخر. وله آراء متناثرة في كتب الشيعة القديمة، نستعرضها كما يأتي؛ لأنها تحمل الجذور الأولى للتشيع في الكوفة، برغم كون الجارودية وقتها من أصحاب الإمام زيد بن علي؛ لأنهم قالوا بالإمامة لعلي ثم الحسن والحسين، وهي بعد ذلك شورى في أبناء علي، فإن قام أحد منهم رافعاً سيفه استحق الإمامة مثل زيد بن علي المصلوب في كناسة الكوفة[٢].

لكننا نجد لأبي الجارود روايات كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة "الاثني عشرية"، نخص منها كتاب التهذيب[٣] للطوسي والكافي للكليني[٤]، وكتاب الاستبصار للطوسي[٥] أيضاً. وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)[٦].

---

(١) د. سعدي الهاشمي. المصدر السابق. ص ١٣٢.
(٢) النوبختي. فرق. سبق ذكره.
(٣) انظر أبواب: الصيد، الصلاة، الظهار، الذبائح.
(٤) الكليني، الكافي، انظر أبواب المعيشة، فضل العلم، الأطعمة، الدواب، الأشربة، الدعاء.
(٥) انظر أبواب: لحم الحمر الأهلية، الأطعمة والأشربة.
(٦) انظر أبواب: الصلاة، الظهار.

وتنسب بعض المصادر تفسيراً لأبي الجارود، والبعض يذكر أنه رواية أبي الجارود عن الإمام الباقر، وقد وردت في تفسير القمي (علي بن إبراهيم) المشهور والمطبوع روايات كثيرة عن أبي الجارود في تفسير بعض الآيات الكريمة، بعضها مسندة إلى الإمام أبي جعفر الصادق، وأخرى مسندة إلى الرسول ﷺ، وثالثة تعد من آرائه الشخصية كما يبدو.

كما أن لروايات أبي الجارود المتعلقة بالتفسير صدى في تفسير فرات المشهور والمعتمد عند الاثني عشرية. وفي بعض هذه الروايات بسند أبي الجارود إلى الإمام زيد بن علي وأخرى لعبدالله بن الحسن بن علي، وفي البعض يسند الرواية إلى الإمام أبي جعفر. ومن أمثلة الروايات المتعلقة بالإمامة، وهي الموضوع المهم عند رجال القرن الأول رواية أبي الجارود، قال: سمعت أبا جعفر يقول: إنه حين أنزل الله: «**اليوم أكملت لكم دينكم....**» قال: فكان الدين بولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

أما أقوال علماء الشيعة بأبي الجارود فمختلفة، فقدماؤهم في الرجال لا يوثقونه، فقد روى الكشي بسنده عن أبي بصير أن الإمام الصادق قال عن أبي الجارود: «أما والله لا يموت إلا تائهاً». وقد ضعفه الشيخ الطوسي في كتابه الفهرست. وقال عنه الحسن العاملي (ت ١٠١١هـ): مذموم لا شبهة في ذمة. كما ضعفه المامقاني.

وممن وثق أبا الجارود الشيخ المفيد في الرسالة العددية. وعلي بن إبراهيم القمي في تفسيره المعروف وابن الغضائري. والشيخ الخوئي معتمد على جملة أسباب منها الاحتمال الكبير برجوع أبي الجارود عن الزيدية

(١) تفسير فرات. ص ٨٧.

واعتناقه مذهب (الاثني عشرية) بدلالة رواية ابن بابويه القمي مسندة عن أبي الجارود عن جعفر بن محمد عن جابر بن عبدالله الأنصاري: أنه دخل على فاطمة وبين يديها لوح كتب فيه أسماء الأوصياء الاثني عشر[1].

علي بن أبي حمزة سالم البطائني

وهو من موالي الأنصار كوفي، روى عند الشيعة عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، وهو من رؤوس الواقفة، أي الذين توقفوا عند إمامة الثامن ولم يجروا الإمامة للتاسع ومن بعده، وهم كثر في العصر العباسي، ولهذا الأمر سببان: سياسي ومالي؛ فالسياسي غرضه التوقف عن القول بوجود إمام موجود للشيعة في ذلك الوقت، تجنبًا لبطش السلطان العباسي. والثاني: إن كثيرًا من زعماء الواقفة أمثال علي البطائني كان لديهم أموال الإمام، تأتيهم من نواحي وقرى كثيرة: كزكاة أو حق الإمام أو ما سميت فيما بعد بالخمس. فلما توفي الإمام أنكر بعضهم وفاته، وقال: إنه لم يمت بل سيرجع، وآخرون لم يقروا بإمامة ابنه الإمام التاسع، فلم يدفعوا إليه تلك الأموال، بل أخذوها لأنفسهم؛ ولذا نجد صب اللعنات عليهم في كتب رجال الشيعة.

قال عنه الحسن بن علي بن فضال: إن البطائني كذاب متهم ملعون، رويت عنه أحاديث كثيرة في التفسير. لم يوثقه ابن الغضائري. وروى الكشي في رجاله روايات كثيرة في ذمه. وورد ذمه عند كثير من محققي رجال الشيعة، ومع ذلك فإن أحاديثه منبثة في أمهات كتب الشيعة الإمامية، أمثال الكافي والمبسوط والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وغيرها[2].

(١) د. سعدي الهاشمي. الرواة. ص ١٩٣.

(٢) محمد بن علي الأردبلي الحائري: جامع الرواة. المجلد الأول. ص٥٤٧ دار الأضواء. بيروت ١٩٨٣. وقد أوضح محمد ماالله أثر البطائني في التشيع، وأحصى مروياته في أمهات كتب الشيعة. انظر الرافضة وطهارة المولد. ط١، ١٤١١م. ص٣٥ وما بعدها.

وتنقل كتب الشيعة عدم توثيقه من الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، فقد قال له: «يا علي أنت وأصحابك أشباه الحمير»[١].

محمد بن مسلم بن رباح الثقفي

هو مولى لثقيف، ويلقب بالأعور، كوفي، تذكر مصادر الشيعة أنه صحب الإمامين جعفر الصادق ومحمد الباقر مع أنهما في المدينة وهو في الكوفة. قال عنه النجاشي: إنه من أوثق الناس، له كتاب الإربعمائة مسألة. في أبواب الحلال والحرام. وقال عنه الكشي: إن الإمام جعفر قال له: (تواضع)؛ لأنه كان رجلاً شريفًا موسرًا، فلما جاء إلى الكوفة اشترى قوصرة تمر، وأخذ يبيع التمر أمام المسجد بالميزان، حتى اعترض عليه قومه. أما المحدثون المتأخرون فيوثقونه في روايته ويقبلونها، وهو من المكثرين في الرواية.

ومع هذا فقد ورد فيه أقذع الذم. بل أورد الكشي رواية عن جعفر الصادق قوله: «لعن الله محمد بن مسلم، كان يقول: إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون»[٢]. وقال الإمام نفسه في حقه: «هلك المتريسون في أديانهم». ومنهم محمد بن مسلم، وعلق الكشي في حق محمد بن مسلم أنه ليس على شيء من دين الإمامية؛ لأنه يقول بالاستطاعة. ولا في شيء من ولايتنا[٣]. وروى الكشي أن ابن أبي ليلى رد شهادة محمد بن مسلم[٤].

---

(١) الطوسي: الغيبة. ص٤٤. الكشي: رجال. ص٣٤٥.
النجاشي: رجال. ص١٧٥. قم ١٣٩٧.
(٢) الكشي: رجال. ص٣٩٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق. ص ٣٨٤.

زرارة بن أعين (ت١٥٠)

كان عبدًا روميًّا لرجل عربي من بني شيبان تعلم القرآن، فأعتقه سيده. وكان جد زرارة سنسن راهبًا في بلاد الروم، ولزرارة أولاد عدة منهم الحسن والحسين، ومن إخوته رواة الحديث بكير وحمران، ولبيت زرارة أثر كبير في الفكر الشيعي هو وأولاده وإخوانه، كما يقول الطوسي: إن «لهم روايات كثيرة وأصولًا وتصانيف.... ولزرارة تصنيفات منها كتاب الاستطاعة والجبر والعهود»[١]. وكانوا في الكوفة مركز التشيع.

وقد روى زرارة أحاديث أكثرها عن الإمام الصادق؛ لأنه قد التقى به فتبلغ مروياته من كتب الحديث الأربعة أكثر من ألفين ومئتي حديث، وقد أثنى على زرارة النجاشي، وذكر أنه كان قارئًا للقرآن فقيهًا متكلمًا[٢] من كان هذا فيها شأنه في علم الحديث وروايته فما شأنه والوثوق به عند إمام الشيعة الإمامية أبو عبدالله الصادق؟

زرارة والإمام الصادق:

التقى زرارة الإمام الصادق، عندما كان زرارة يأتي من الكوفة حاجًا، فيمر على المدينة المنورة، وقد يمكث فيها ما يمكث الحاج ثم يرجع إلى الكوفة. ونستنتج من الروايات أن الإمام الصادق كان يتتبع أخبار زرارة هذا بسؤال من يأتيه من رجال الكوفة، وهذا التتبع مصدره كما يبدو قلق الإمام الصادق من آراء زرارة وعدم التزامه بتوجيهات الإمام، مما قد يجر على الشيعة مشكلات عدة. ويبدو أن الإمام قد ضاق ذرعًا بزرارة، فوصفه

(١) الطوسي. فهرست. ص ١٤١- ١٤٢.
(٢) النجاشي. رجال. ص ١٢٥.

بالكـذب وأنــه وأصحابه أشر مــن اليهود والنصارى، وأمــر الإمام الصادق أصحابه من أن يتجنبوا زرارة، فلما علم بذلك زرارة تمادى أكثر ضد الإمام ولم يبال بالكذب عليه والتقول بما لم يقله الإمام عنادًا منه وردًّا على الحرب التــي استعــرت بينه وبين الإمــام. ولابتعاده في الكوفة عــن الإمام وجد فيها حرية كبيرة لأن يضع الحديث، ويكذب على إمامه.

روى الكشــي أن الإمــام الصــادق سأل أحــد أصحابــه، وممن هو من أصحــاب زرارة قائــلاً: متــى عهدك بزرارة؟ قــال: ما رأيته منــذ أيام. قال الصــادق: لا تبالِ. وإن مرضــ فلا تعده، وإن مات فلا تشهــد جنازته. قال: زرارة؟ قــال: نعم زرارة. زرارة شر من اليهود والنصارى، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة[1].

ومــع أن زرارة ينقــل أكاذيبــه وآراءه عــن طريــق الكذب علــى الإمام (الصادق)، إلا أن بعضهم يعرف كذبه، فيعرض ذلك على الصادق.

روى الكشــي عــن زياد بن أبي الحــلال قال: قلت لأبــي عبدالله ﷺ: إن زرارة روى عنــك في الاستطاعــة شيئًــا فقبلناه منــه وطعناه، وقــد أحببت أن أعرضــه عليــك، فقال: هاتــه. فقلت: يزعم أنه سألك عــن قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فقلــت: مــن ملــك زادًا وراحلــة. فقــال: كل من ملــك زادًا وراحلة فهو مستطيع للحــج وإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقــال: ليس هكذا سألني ولا هكذا. قلت: كذب عليّ والله. كذب والله، كــذب عليّ والله، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي: من كان له زاد وراحلة فهو مستطيع للحج؟ قلت: قد وجب عليه. قال:

(١) الكشي. رجال. المطبوع مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص١٦٠.

فمستطيع هو؟ فقلت: لا حتى يؤذن له. قلت: فأخبر زرارة بذلك؟ قال: نعم. قال زياد: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبدالله، وسكت عن لعنه، وقال: أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وصاحبكم هذا ليس له بعد بكلام الرجال[1].

فهذه الرواية توضح بحق أن الهوة بين هؤلاء الرجال وبين إمامهم كبيرة جدًّا وترتيب عليها نتائج مهمة وخطيرة في تكوين عقيدة الإمامية وآرائهم بواسطة هؤلاء الرجال، مع العلم أن هؤلاء الأئمة يذودون عن عقيدة الإسلام الصحيحة في الوقت نفسه، فهذا الإمام الصادق كما روى الكشي بسنده عن مسمع بن كروين، قال: سمعت أبا عبدالله رضي الله عنه يقول: «لعن الله بريدًا، ولعن الله زرارة». والإمام الصادق يتتبع زرارة وأخباره غير مطمئن لسلوكه، لينافح عن هذا الدين.

روى الكشي بسنده عن محمد بن أبي عمر قال: دخلت على أبي عبدالله رضي الله عنه فقال: كيف تركت زرارة؟ فقلت: تركته لا يصلي العصر حتى تغيب الشمس. فقال: فأنت رسولي إليه، فقل له: فليصلِ في مواقيت أصحابي فإني قد حرمت. قال: فأبلغته ذلك، فقال: أنا والله أعلم أنك لم تكذب عليه، ولكن أمرني بشيء، فأكره أن أدعه».

وأثر زرارة يتضح بما له من نفوذ الكلمة بين قومه في الكوفة، حيث يهابه بعضهم إلى درجة أنهم لا يستطيعون الإنكار عليه بدعه وكذبه على الإمام.

روى الكشي عن عبدالرحمن القصير قال: «قال لي أبو عبدالله رضي الله عنه: ائت زرارة وبريدًا، فقل لهما ما هذه البدعة التي ابتدعتموها، أما علمتما أن

(١) الكشي. رجال. ص١٤٧.

رسول الله ﷺ قال: كل بدعة ضلالة؟ قلت له: إني أخاف منهما فأرسل معي ليثًا المرادي، فأتينا زرارة، فقلنا له ما قال أبو عبدالله عليه السلام، فقال: والله لقد أعطاني الاستطاعة وما شعر. فأما بريد فقال: والله لا أرجع عنها أبدًا»[1]. وقد خاطب الصادق أبا الصباح قائلًا: «هلك المتريسون في أديانهم منهم زرارة وبريد ومحمد بن مسلم وإسماعيل الجعفي»[2].

وزرارة كان على علم بعقائد أهل الكتاب وخاصة النصارى، وذلك أمر طبيعي حيث كان جده راهبًا نصرانيًّا، وقد كانت المذاهب الإسلامية والمتكلمون في ذلك الوقت يتجادلون في مسألة الاستطاعة والجبر، وكان الإمام الصادق على علم بذلك، وعلى علم بآراء زرارة وجماعته في الكوفة بهذه العقائد. روى الكشي بسنده عن حنان بن سديد قال: كنت أنا ومعي رجل أريد أن أسأل أبا عبدالله رضي الله عنه عما قالت اليهود والنصارى والمجوس:

الذين أشركوا هو مما شاء الله أن يقولوا؟ قال فقال لي: إن ذا من مسائل آل أعين ليس من ديني ولا من دين آبائي. قال: قلت ما معي مسألة غير هذه[3].

وهدف زرارة وآل أعين إنما يريدون بذلك أن يظهروا على قومهم بالعلم والنفوذ، وإن خالفوا بذلك إمامهم، وقد وجدوا أنفسهم على علم بعقائد السابقين بين قوم جهلة فيها، فأرادوا السؤدد والظهور. وقد حكم عليهم الإمام الصادق بذلك، فقد روى الكشي بسنده عن إسماعيل بن عبدالخالق عن أبي عبدالله رضي الله عنه قال: ذكر عنده بنو أعين، فقال: «والله ما يريد بنو أعين إلا أن يكونوا على غلب»[4].

(١) الكشي. رجال. ص ١٤٧- ١٤٨.
(٢) القهبائي. مجمع الرجال. ج١ ص٢٥٥.
(٣) الكشي. رجال. ص ١٥٣.
(٤) الكشي، رجال. ص ١٤٢ – ١٤٥.

ويضيق زرارة ذرعًا برأي الإمام الصادق الذي حاول أن ينبه على خطأ ما يذهب إليه وعلى عناده وعدم استقامته على ما يؤمر به، روى الكشي بسنده عن أبي مسكان قال: سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر، فإن في قلبي عليه لفتة. فقلت له: وما حمل زرارة على هذا؟ قال: حمله على هذا أن أبا عبدالله أخرج مخازيه. وروى أيضًا أن زرارة سأل الإمام الصادق عن التشهد، ولما كانت إجابة الإمام لم تعجب زرارة، قال: فلما خرجت ضرطت في لحيته، وقلت: لا يفلح أبدًا[1].

ويبدو أن الإمام الصادق قد يئس من إمكانية استقامة زرارة أبدًا، وأنه سيموت على ضلال، روى الكشي بسنده عن ليث الراوي قال: سمعت أبا عبدالله ﷺ يقول: «لا يموت زرارة إلا تائهًا».

بعد كل هذا الطعن ضد زرارة يسكت عنه أو يوثقه بعض علماء الرجال من الإمامية، فيقول عنه النجاشي: «... زرارة بن أعين شيخ أصحابنا في زمانه وفق تقدمهم، وكان قارئًا فقيهًا متكلمًا..»[2]. ويذكره الطوسي دون أي طعن[3]. كما أن البرقي عدّه من أصحاب الباقر والصادق والكاظم من الأئمة، وذلك دون ذكر ما يشينه. فما هو سبب هذا السكوت والتساهل من الأقدمين في شأن زرارة وآل أعين جميعًا؟ هل هو لمجرد إخفاء المعايب، لئلا يكثر الطعن على المذهب وسد الطريق على مخالفي الشيعة برغم ما يمكن أن يحدثه السكوت، هذا من انحرافات في المذهب. إنها لمسألة خطيرة لم يتصدَّ لها قدماء الشيعة مع الأسف، بل على العكس سايروا التيار لدى

(١) الكشي، رجال. ص٤٥. وص١٥٩.
(٢) النجاشي. رجال. ص١٢٥.
(٣) الطوسي. الفهرست. ص١٤١.

عامـة الشيعـة، ولم يغضبوهم في الحـق، فكان في ذلك جنايـة عظيمة على الحديـث وروايته وعلـى عقائد الشيعة التي تكونت، ووضعـت لها أساسًا من هذه المرويات.

وكذلـك شأن بعض المتأخرين من علمـاء الإمامية سكتوا مثل غيرهم، أو اعتـذر بعضهم لزرارة. قال السيد محمد حسين المظفر: «... فكان الإمام ينـال منـه أحيانًا ليرفع بذلك عنـه الخطر، ومن ثم جـاءت أحاديث تطعن فيـه..»[١]. وقال عبدالحسين شرف الدين: «.. كما أنا لم نجد أثرًا ما لشيء ممـا نسبـوه إلى كل مـن زرارة بـن أعين ومحمد بـن مسلم ومؤمـن الطاق وأمثالهـم، مع أنا قد استفرغنا الوسع والطاقة بالبحث عن ذلك، وما هو إلا البغي والعدوان»[٢].

ولربمـا كان السيـد عبدالحسـين يـرى أن روايات الكشـي السالفة لم تثبـت أو أن الكشي ليس بثقة، ولكن نرى بعضـ الرجال قد تابعوا الكشي في تلـك الروايات أو بعضها مثل المامقاني في تنقيح المقال[٣]. والحر العاملي في وسائل الشيعة [٤] والسيد الخوئي في معجم رجال الحديث[٥]. وهذا يدل على قناعتهم بعدم توثيق زرارة، لكن هذا الأمر كما سبق أن قلنا أمر نظري؛ لأن مـا هو عملي هو سريان روايـات زرارة والأخذ منها. وقد تأسس منذ القديم كثير من معتقدات المذهب عليها. وتضاعف عددها بمرور الوقت. قال المرزا محمـد حسين النوري في كتاب الفوائد الملحق بمستدرك الوسائل في معرض

(١) محمد الحسين المظفر. الإمام الصادق. ج٢. ص١٥٢.
(٢) عبدالحسين شرف الدين. المراجعات. ص١١٣.
(٣) المامقاني. تنقيح المقال. ج١ ص٤٤٠- ٤٤٤.
(٤) الحر العاملي. وسائل الشيعة. ج٣. ص١١٣.
(٥) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج٧. ص٢٢٢.

الحديث عن محمد بن مسلم: إنه روى أو سأل عن ثلاثين ألف مسألة عن الإمام أبي جعفر، وفي رواية أخرى: أنه سمع منه ستة عشر ألف مسألة. وقال النوري: ولا أظن أن أحاديث زرارة تنقص عن أحاديث محمد ابن مسلم، وهو الذي قال فيه أبو عبدالله الصادق: لولا زرارة لظننت أن أحاديث أبي ستذهب[1].

أبو الخطاب:

هو محمد بن أبي زينب مقلاص البراد الأجدع الأسدي، وكنيته المشهورة أبو الخطاب، ويكنى كذلك أبو إسماعيل. له مقالات منكرة في الدين وعقائد فاسدة في صفات الأئمة، وخاصة الإمام الصادق. وكان ذا نفوذ على أصحاب الصادق، حتى إنه يلقاهم بعد أن يخرجوا من الإمام الصادق، فيبدل ويغير آراءهم بغير ما ذكر الصادق لهؤلاء فيتابعونه على ذلك[2]. وكان أبو الخطاب في الكوفة على معرفة برجال الشيعة فيها، وكانوا أول الأمر يوثقونه، فكان يحمل أسئلة من الكوفة إلى الإمام الصادق في المدينة، فيرجع بها إليه، ولكن الشيعة والإمام اكتشفوا خبث سريرته وكذبه فيما ينقل عن الإمام. نقل المجلسي عن (كا) عن علي بن عقبة قال: كان أبو الخطاب قبل أن يفسد هو يحمل المسائل لأصحابنا ويجيء بجواباتها[3]. ويبدو أن فساد (أبو الخطاب) وقبح آرائه أنه كان يماشي السفلة، ويختلط بهم، ويبدو أنه قد تأثر بهم، وقد نهاه الإمام الصادق عن ذلك، ولكنه أصر على ما هو عليه.

(١) هاشم الحسيني. المبادئ العامة للفقه الجعفري. ص٥٦.
(٢) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص٣٤٤.
(٣) المجلسي. البحار. المجلد١١. ص٢٠٨.

روى الكشي بسنده عن الفضل قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «اتقِ السفلة واحذر السفلة، فإني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني»[1]. ثم بدأ أبو الخطاب ينسب للإمام أقوالًا لم يقلها، ويكذب عليه في مفتريات شنيعة جاراه فيها أصحابه. فقد ادعى أبو الخطاب: أن الصادق جعله قيمًا على أصحابه في الكوفة ورئيسًا لهم، ثم ادعى أن الصادق عينه وصيًا من بعده، وأنه قد علمه اسم الله. وأخيرًا ادعى أبو الخطاب النبوة، وأنه مرسل من الله إلى الشيعة في الكوفة. ثم ادعى أيضًا أنه من الملائكة المقربين، وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه سيكون حجة عليهم يوم القيامة[2].

وقد دمغ الإمام أبو عبدالله الصادق أبا الخطاب بالكذب هو ومجموعة من الكذابين على الأئمة عن ابن سنان، قال: قال أبو عبدالله «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (علي) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه عبدالله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبدالله الحسين بن علي قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبا عبدالله الحارث الشامي وبنان، فقال:كانا يكذبان على علي بن الحسين، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيغًا والسري وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الشعيري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي، فقال: لعنهم الله إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد»[3].

---

(١) الكشي. رجال. ص٢٥٠.

(٢) النوبختي. فرق الشيعة. ص٦٣.

(٣) الكشي. رجال. ص٢٥٧-٢٥٨.

فهذه مجموعة من الرواة الكذابين، ومع ذلك تتردد أسماؤهم في كثير من كتب الحديث القديمة والحديثة، ويلتمس لهم المعذرة كالقول: إن هذا الحديث قد رواه أبو الخطاب في حال استقامته. فأي ميراث هذا الذي تركه أبو الخطاب وأصحابه في الحديث، ومن يملك الشجاعة على تنقية كل ذلك وتبرئة الشيعة والتشيع من هذا الميراث المنكر؟

جابر بن عبدالله الجعفي:

هو من المكثرين في الرواية، ويتردد اسمه في كتب الحديث كثيرًا روى سبعين ألف حديث عن الإمام الباقر، وروى مئة وأربعين ألف حديث عن الآخرين وخاصة عن الإمام الصادق[١]. فهل شافه جابر الإمامين المذكورين؟ أورد الكشي في رجاله عن زرارة قال: «سألت أبا عبدالله ﷺ عن أحاديث جابر، فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل عليَّ قط»[٢]. وقد شهد الشيخ المفيد والنجاشي: أن جابرًا كان مختلط العقل. وقد ضعف روايته كثير من المتأخرين وقدحوا به. وضعف روايته آخرون؛ لأن عمر بن شمر دس على جابر أحاديث كثيرة نسبها إليه وهو لم يقلها[٣].

أما كتب الحديث عند السنة فقد دمغت جابر هذا بالكذب، فقد ورد عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت أحدًا أكذب من جابر الجعفي[٤] فأبو حنيفة يعرفه حق المعرفة؛ لأن كليهما كوفيان».

---

(١) الحر العاملي. الوسائل. ج٢٠. ص١٥١.
(٢) الكشي. رجال. ص١٩١.
(٣) النجاشي. رجال. ص١٠٠.
(٤) النجاشي. ميزان الاعتدال. ج١ ص٣٧٩.

obeikandl.com

الفصل الثاني

بعض المدن كمراكز للكذب ونشر التشيع

موقف الأئمة من الرجال الوضاعين

إن أهم مركز من مراكز الكذب في الحديث عند الشيعة ونشر عقائدها عن هذا الطريق كانت الكوفة في العراق. ومنذ اتخذها الإمام علي رضي الله عنه عاصمة له والتشيع كان ينتشر فيها ويعم منها إلى كثير من الأقاليم خاصة الأقاليم الشرقية. كانت الكوفة في القرن الأول الهجري تضم الكثير من المذاهب، والمذاهب الشيعية على الأخص، وبسبب انتكاس حركات العلويين السياسية بعد مقتل الحسين بن علي والمختار بن عبيد الله الثقفي تحولت حركات الشيعة إلى حركة سرية متطرفة في آرائها؛ ولهذا، فالذي يبدو أن الكوفة في ذلك الوقت كانت تضم من الشيعة غلاتها، فقد كانت لهم الكثرة والنفوذ في الأوساط الشيعية.

وتبالغ المصادر الشيعية في عدد الشيعة يومئذ في الكوفة. نقل المجلسي عن كتاب صفات الشيعة للصدوق بإسناده عن المفضل بن قيس عن أبي عبد الله الصادق قال: قال لي: كم شيعتنا بالكوفة؟ قال: قلت: خمسون ألفًا، فمازال يقول إلى أن قال: «والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلًا يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا يقولون علينا إلا الحق[1]». وهذا يدل على كثرة الشيعة في الكوفة حينذاك من فرق شتى، وأن كثرتهم هذه لا فائدة منها، بل هي تمثل متاعب للإمام الصادق الموجود في المدينة المنورة،

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٥. ص٤٣ من القسم الأول.

وذلـك بسبب كثرة كذبهم وعـدم قولهم الحق مما ينقلون عـن الأئمة وعن الصادق نفسه؛ فالمؤمن الحق بينهم أعز من الكبريت الأحمر. نقل المجلسي عـن (كا) بسنده عن قتيبة الأعشى، قـال سمعت أبا عبدالله يقول: «المؤمنة أعـز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر؟»[1].

ولهـذا، فالنماذج مـن رجال الشيعـة الذين كانوا يفـدون على الإمام الصـادق من الكوفة، وهم يمثلـون صفوة القوم، ويسألونـه عن أمور دينهم ودنياهم لم يكن الإمام على ثقة منهم، وذلك بسبب كذبهم عليه وعلى آبائه واستعمـال اسمه لأغراضهم ونحلهم التي ابتدعوها. نقل المجلسي عن (كا) بسنـده عن أبـي رئاب قال: سمعت أبا عبدالله يقـول لأبي بصير: «أما والله لـو أني أجـد منكم ثلاثـة مؤمنين يكتمون حديثـي ما استحللـت أن أكتمهم حديثًـا»[2]. فبعـد أن آيـس منهم الإمام اتخـذ منهم موقفًـا ألا يحدثهم ولا يبوح لهم بمكنونات نفسه، وأمام هذا الواقع بدأ هؤلاء يتخبطون، ويصنعون مقـولات من أنفسهم وينسبونها للإمام. ولعل هذا ينبئ بأن الإمام الصادق له آراء ضد السلطة السياسية في وقته، ولكنه لا يستطيع البوح بها إلى هؤلاء الرجـال، خشية نقلها والبوح بهـا إلى السلطان، فينال الإمـام ما نال سلفه من عـذاب وهوان. ولعل بعض أصحابه يعرف رأيـه السياسي في السلطان والأمـراء، فيطلب الإمام منهم ستر ذلك؛ لئلا يلحـق الأذى به وبهم، ولكن هؤلاء الرجال استخدموا هذه النصيحة في مسألة السياسة إلى مسائل الدين والعقيـدة، فنسبوا له الآراء الغالية في العصمة والرجعة والبداء ومعرفة لغة

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

الطـير، وما إلى ذلـك مما لا تحتمله العقـول السوية؛ ولهـذا لم يقر الإمام الصـادق أنهم أصحابه بل نفى ذلك، هـو يتحرق أن لأبي حنيفة أصحابًا في الكوفـة في الوقت نفسه، وللحسن البصري أيضًا أصحاب في البصرة، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء.

نقـل المجلسي عن (كا) بسنده عن عبدالأعلى قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «إنـه ليس من احتمال أمرنا التصديق لـه والقبول فقط. من احتمال أمرنا ستره وصيانته و..... بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون. ثم قال: ما الناصب لنا أشد علينا مؤنة من الناطق علينا بما نكره... أما والله لو كنتم تقولـون ما أقول لأقررت أنكم أصحابي و..... هـذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش»[1].

ولكن مما يؤسف له أن علماء الشيعة ذهبوا في فهم هذا التوجه مذهب أولئـك الغلاة في تحريف وفهـم كلام الإمام هذا، فبـدل أن تخصص الأمر بـالآراء السياسيـة التي قصدها الإمام تعدوها إلـى مسائل العقيدة، أي فلا تحدثوهـم في مسائلنـا وآرائنـا السريـة في العصمة وعلم الأئمـة وأحوالهم وخلقهـم وطينتهم إلى آخره من الخوارق، التي كانت تروج لدى غلاة الشيعة في الكوفة وغيرها. وقد عقد المجلسي في البحار بابًا في فضل كتمان السر وذم إذاعتـه، ونقل في ذلك ما يقارب ثلاث مئة حديـث منسوبة إلى الأئمة، تدعو الشيعة بستر الأمر عن مخالفيهم، وألا يرووا معجزاتهم ومخاريقهم[2].

ومـع محاولـة الإمام الصـادق اعتـزال السياسة وعـدم الخروج على السلطـان، ولكن الشيعة في وقته درجت على تسميتـه بالإمام ومحاولة زجه

(١) المجلسي. البحار. المجلد١٥. ص٤٣. والمجلد ١٦. ص١٣٨ وانظر كذلك المجلد ١١. ص٢١٧.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد١٦. ص١٣٨.

ضـد الأمويـين، أو أن يشترك في الحركات التي ثـارت ضدهم كحركات أبي مسلـم الخراساني. ذكر الواقدي أنه لما خرج محمد بن عبدالله بن الحسين بالمدينة على الأمويين هرب جعفر بن محمد إلى ماله بالفرع، فلم يزل هناك مقيـم مُتَّقٍ عمـا كانوا فيه حتى قتـل محمد، فلما قتل اطمـأن الناس وأمنوا فرجـع جعفر إلى المدينـة[1]. ويبدو أن أبـا مسلم قد كاتب الإمـام الصادق في الاشـتراك في الثـورة، التي قام بها أبـو مسلم إلا أنـه رفض ذلك بحجة أن ذلـك أمر لم يحن وقتـه. ذكر الكليني في كتابه الروضـة المطبوع في آخر الجـزء الثاني عشر مـن أصول الكافي بسنده عن الفضـل الكاتب قال: كنت عنـد أبي عبـدالله فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليـس لكتابك جواب اخرج عنـا. فجعلنا يسار بعضنا بعضًا، فقـال: أي شيء تسارون؟ يا فضل، إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد. ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقضِ أجله»[2].

ومـع معرفـة أصحاب الصادق بتوجهـه السياسي هـذا إلا أنهم طبعًا يتحينـون الفرصة للخلاص مما هم فيه، ويصرون على تسميته بإمامهم في حلقـات المسجد، وهو ينفي أن يكون إمامًا لأمثـال هؤلاء. روى الكليني أيضًا بسنـده عن شريك المفضل قال: سمعت أبا عبـدالله يقول: «حلق في المسجد يشهرونـا ويشهرون أنفسهم، أولئك ليسوا منا ولا نحن منهم. انطلق فأواري واسـتر، فيهتكون ستري هتك الله ستورهم، يقولـون: إمام، أما والله ما أنا بإمـام إلا لمـن أطـاعني، فأمـا من عصاني فلست له بإمـام. لم يتعلقون باسمي؟ ألا يكفو اسمي من أفواههم، فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار»[3].

(١) ابن عبدالبر. تجريد التمهيد لما في الموطأ من أسانيد. ص٢٤. مكتبة القدسي. القاهرة. ١٣٥٠هـ.
(٢) الكليني. الروضة. في آخر. ج١٢ من الكافي. الأصول. ص٣٦٩-١٧٠.
(٣) الكليني. الروضة. في آخر. ج١٢ من الكافي أصول. ص٥١٤.

فهؤلاء يشير إليهم بأنهم قد تعلقوا باسمه، أي إنهم سموا بالجعفرية نسبة لاسمه جعفر بن محمد. روى الكشي بسنده عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله: إنا نعير بالكوفة، فيقال لنا: جعفرية. فغضب أبو عبدالله ثم قال: «إن أصحاب جعفر منكم لقليل إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه»[1]. وهؤلاء لم يكونوا كذلك في رأي الإمام. نقل المجلسي عن (كا) بسنده قول الصادق لسدير: «... لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء (وكانت سبعة عشر جديًا) ما وسعني القعود»[2]. وكان سدير قد سأل الصادق أن يخرج على السلطان؛ لأن له شيعة يقاربون الآلاف المؤلفة في رأي سدير. والإمام الصادق كان على علم بما ينسب له من الأحاديث المكذوبة من أصحاب هؤلاء النحل. روى الكشي بسنده أن قومًا جاؤوا إلى أبي عبدالله يطلبون الحديث فسألهم عما يحفظون من الحديث فحدثوه أحاديث منسوبة إلى محمد بن علي، وفي بعضها منسوب لجعفر نفسه فأنكرها عليهم، فقالوا له: إنها شائعة في بلدهم يتداولها الناس منها أحاديث في حلية النبيذ والمسح على الخفين... ومنها أبو بكر أمر خالد بن الوليد بضرب عنق علي بعد الصلاة، ثم أمره بعدم ذلك، ومنها أن عليًّا كان نادمًا على قتال أهل الجمل وصفين. ثم سألهم الصادق: «من أين أنتم؟ قالوا: من البصرة نحن. قال لهم: فهذا الذي تحدثون عنه جعفر بن محمد تعرفونه؟ قالوا: لا، قال: فإذا قال لكم هذا كذب أكنتم تصدقونه؟ قالوا:لا»[3]. فهذا عناد شديد وإصرار على نقل الكذب، حتى إن أنكره من نسب إليه. وإزاء هذا الوضع السيئ الذي يحيط بالإمام من مخالفيه من أصحابه نراه يشكو العزلة والوحدة في المدينة، ويتمنى أن يسكن هو وأصحابه الطائف بعيدًا عما يقلق خاطره. روى

(١) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص٢٥٥.
(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص٢١٧.
(٣) الكشي. رجال مع الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص٣٩٣-٣٩٧.

الكليني بسنده عن عنبسة بن مصعب، قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «أشكو إلى الله ﷻ وحدتي وتقلقي بين أهل المدينة حتى تقدموا وأراكم، وآنس بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتخذ قصرًا في الطائف فسكنته وأسكنتكم معي، وأضمن له ألا يجيء من ناحيتنا مكروه أبدًا»[1].

ولا شك في أن الإمام قد وصل إلى وضع نفسي يشف عن روح قلقة منعزلة نتيجة هذا الحصار المفروض عليه من السلطان. إن رسالة الصادق إلى سعد الخير توضح ذلك حيث ذكر فيها توجيهًا لسعد هو حقيقة ما بنفس الإمام الصادق من شعور لما حوله قال له: «... لا تقبل ولا توجد إلا في عباد غرباء أخر من الناس قد اتخذوهم سخريًا لما يرمونهم به المنكرات. وقال يقال: لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون أبغض إلى الناس من جيفة الحمار.... // واعلم أنه لا تنال محبة الله إلا ببغض كثير من الناس[2]». فإذن هذه حاله وحال أصحابه بالنسبة للمجتمع آنذاك، فقد كان الناس يتجنبون مخالطتهم خشية أن يوصموا بهذه الصفات المقيتة التي لحقت بهؤلاء الرجال المختلفين فيما بينهم بكذب بعضهم على بعض. ويكذبون على إمامهم لقاء عرض من الدنيا. ولا يستبعد أن السلطة السياسية آنذاك قد دست فيهم عيونها؛ لمراقبتهم وجرهم إلى الانحراف والكذب.

روى الكشي بسنده عن الفيض بن المختار أنه قال لأبي عبدالله: «ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ (يقصد الاختلاف في الحديث) فقال أبو عبدالله: أجل، هو كما ذكرت يا فيض، إنهم أولعوا بالكذب علينا... وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله،

(١) الكليني. الروضة في آخر. ج١٢ من الكافي. أصول. ص٢٧٣.
(٢) الكليني. الروضة ج١١ من الكافي. أصول. ص٣٦١- ٣٦٢.

وذلـك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عنـد الله، وإنما يطلبون الدنيا»[1].
وهذه ربما إشارة إلى أنهم يقبضون الدراهم من السلطان على مسلكهم هذا.

ويبدو أن هـؤلاء الرجال كانوا يتكسبون في رواية الحديث على الناس، فيأخـذون منهـم بعض الدراهم لقـاء رواية حديث الإمـام جعفر، فيكذبون عليه، أو يتزيدون في كلامه، أو يتأولون شيئًا لم يقصده الإمام.

ذكـر الكشـي أيضـاً عن يحيى بـن عبدالحميـد الحماني قـال: «قلت لشريـك القاضي في الكوفة: إن أقوامًا يزعمـون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديـث، فقال أخبرك القضية: كان جعفـر بن محمد رجلًا صالحًا مسلمًا ورعًـا، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون أحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلـون الناس بذلك ويأخذون منهـم الدراهم، فكانوا يأتون في ذلك بكل منكـر، فسمعـت العوام بذلك منهـم، فمنهم من هلك، ومنهـم من انكسر، وهـؤلاء مثـل المفضل بـن عمرو وبيـان وعمـرو النبطي وغيرهم ذكـروا أن جعفـراً حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصـوم والصلاة و.... وإن عليًّا في السحـاب يطير مع الريـح.... والله ما قال جعفر شيئًا من ذلك قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك، فسمع الناس ذلك فضعفوه...»[2].

والزيادة التي يضعها هؤلاء القوم على كلام الإمام جعفر لم تكن زيادة قليلة من أجل التوضيح، بل كانت زيادة منكرة لم يقصدها الإمام البتة. روى الكليني بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله يقول: «رحم الله عبدًا حببنـا إلـى الناس، ولم يبغضنـا إليهم، أما والله لو يـروون محاسن كلامنا

(١) الكشي. رجال مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص١٣٦.
(٢) الكشي. رجال. مع الطوسي اختيار معرفة الرجال. ص٣٢٤.

لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلقهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرًا»[1].

فانظر إلى شهادة الإمام في مبالغات هؤلاء القوم عند رواية حديثه ومقدار الزيادة عليه تَقَوُّلاً لشيء لم يرده الإمام. ولكن شأن بعض المتأخرين من الشيعة الإمامية إيجاد العذر لهؤلاء الرجال، فيقوم هو الآخر بتأويل مقصد الإمام الواضح سلفًا إلى اعتبار أن كلام الإمام: «فيحط إليها عشراً» هو من باب المبالغة. قال المازندراني شارح كتاب الكليني السالف: «هذا من باب المبالغة المشهورة بين العرب والعجم، وذلك التغيير قد يقع عمدًا لغرض من الأغراض، وقد يقع سهوًا، وقد يقع باعتبار فهم المخاطب من كلام له وجوه... وينبغي أن يعلم أن كلامهم قسمان: قسم في باب الأسرار، فيجوز نقله لغير أهله أصلاً، وقسم يجوز مطلقًا»[2].

وهكذا بدل أن يكون العالم في صف الإمام وقف في صف هؤلاء الكذبة، وحاول إيجاد الأعذار والأسباب، وما ذلك إلا بسبب تقادم الزمن، وأن هؤلاء العلماء قد تشربت عقولهم عقائد هؤلاء الرواة الكذبة في أذهانهم، فلا يستطيعون لها نفيًا.

وهذه دلالة واضحة أن هؤلاء القوم يتعمدون على الإمام الكذب وفساد التأويل؛ لأنهم قد قبضوا أو سيقبضون ثمن ذلك عند من خطط لهذه النتيجة السيئة، التي أورثت بعد تلك الأجيال عقائد ومقولات تقبلها الشيعة بالقبول ونقلوها على أنها آراء الأئمة وما هي كذلك. وقد ابتلي الإمام بهؤلاء القوم

(١) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص٢٩٢.
(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. حاشية٢٩٢.

من الكاذبين، ونسبوا إليه ظلمًا وعدوانًا، برغم أنه ينافح عن نفسه ضدهم. نقل المجلسي عن (كا) بسنده أن أبا الصباح الكناني قال لأبي عبدالله: ما تلقى من الناس فيك؟ فقال: وما تلقى من الناس فيّ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل كلام، فيقول: جعفري خبيث. فقال: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم إنما أصحابي من اشتد ورعه[1]. وهؤلاء الرجال أصناف، منهم من يبغي لنفسه الرفعة وعلو الشأن حينما ينادي بتلك الآراء الغريبة والمفترية على الإمام كذبًا، ومنهم الغافل الذي لا يدرك ما حوله، فينقل هذه المفتريات وهو غير عالم بها. وقد وصم الإمام جعفر هؤلاء الكذابين بأشنع الصفات وقرنهم وأعمالهم بالشيطان، بل إنهم قد فاقوا الشياطين بأعمالهم وكذبهم. روى الكليني بسنده عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبدالله: «إن من ينتحل هذا الأمر ليكذب، حتى إن الشيطان ليحتاج إلى كذبه»[2].

ومن هؤلاء الرواة بعض الغفلة الذين يصدقون بكل شيء دونما تمحيص عقلي، فيروون كل ما يسمعون بل إن بعضهم قد شهد على نفسه بذلك عند الإمام جعفر. فقد روى الكشي بسنده عن عبدالله بن يعفور قال: قلت لأبي عبدالله: والله لو فلقت رمانة نصفين، فقلت: هذا حرام، وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت: حلال حلال، وأن الذي قلت: حرام حرام. فقال: رحمك الله رحمك الله[3]. وماذا يمكن أن يرد الإمام على مثل هذه العقلية، إلا أن يرحمها الله برحمته؛ كي لا تقع في مصارع السوء.

(١) المجلسي. البحار. مجلد ١٥. القسم الثاني. ص٩٧.
(٢) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص٣٣٢.
(٣) الكشي. رجال مع معرفة الرجال للطوسي. ص٢٤٩.

ويبلـغ بالإمام أن يصب لعنته على طـلاب الرئاسة والزعامة بين قومهم إن لم يقوّمهـم ويصلحهم ذوو العقل. روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: كتب أبو عبـدالله إلى الشيعة: «ليعطفن ذوو السن منكم والنهي عن ذوي الجهـل وطلاب الرئاسـة أو لتصيبنكم لعنتي أجمعـين»[1]. والنتيجة لكل ذلك أن الشيعـة أصبحت فئة متميزة ومعزولة عن بقيـة المسلمين بسبب هذه الآراء والمقـولات الفاسدة التـي يروجها هـؤلاء، ومنها أن حب آل البيـت وحده ينفع المرء، وإن سـاءت سريرته وأفعاله، والإمام ينفي ذلك، ولكن ليس من مجيب. روى الكلينـي بسنده عن عنبسـة عن أبي عبدالله قال سمعتـه يقول: «خالطوا الناس فإنه إن لم ينفعكم حب علي وفاطمة في السر لم ينفعكم في العلانية»[2].

ومـاذا عسـى أن يفعل الإمام جعفر ليداوي هـذه الأمراض التي فرقت بـين أصحابه وشيعته، فهو يدعو مرة إلى عدم الاختلاف مع الآخرين، حيث هالـه كـثرة مقولات أصحابـه. روى الكليني بسنده عن جابـر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر فقلت: يا ابن رسول الله، قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبهـا، فقال: يا جابـر ألا أوقفك على معنى اختلافهـم من أين..... ومن أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى. قال: «فلا تختلف إذا اختلفوا»[3].

وأحد أصحاب جعفر يطلب منه أن ينظر في أمر الشيعة الذين اختلفوا فيمـا بينهم وتباغضوا، ويقـترح عليه أن يكتب بذلك كتابًـا يجمعهم، ولكن الإمـام يبدو مترددًا في ذلـك؛ خشية أن يقع مثل هذا الكتـاب بيد السلطان فيأخـذه به، وقد اختـط لنفسه اعتزال مـا من شأنه الخروج عـن السلطة.

(١) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٧٠.
(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٧٢.
(٣) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج١١. ص٢٠٢.

روى الكليني بسنده عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله: «إن شيعتك قد تباغضت، وشنأ بعضهم بعضًا، فلو نظرت جعلت فداك في أمرهم؟ فقال: لقد هممت أن أكتب كتابًا لا يختلف عليَّ منهم اثنان، قال: قلت: ما كنا قط أحوج إلى ذلك منا اليوم، ثم قال: أنَّى هذا ومروان وابن ذر، قال: فظننت أنه قد منعني ذلك. قال: فقمت من عنده فدخلت على إسماعيل (ابن جعفر) فقلت: يا أبا محمد، إني ذكرت لأبيك اختلاف شيعته وتباغضهم، فقال لك: لقد هممت أن أكتب كتابًا لا يختلف عليه منه اثنان، قال: فقال: ما قال مروان وابن ذر؟ قلت: بلى. قال: يا عبد الأعلى إن لكم علينا لحقًا كحقنا عليكم، والله ما أنتم إلينا بحقوقنا أسرع منا إليكم. ثم قال: سأنظر، ثم قال: يا عبد الأعلى، ما على قوم إذا كان أمرهم أمرًا واحدًا متوجهين إلى رجل واحد يأخذون عنه إلا يختلفون عليه ويسندون أمرهم إليه»[1]. والمشكلة هذه لا تنتهي بكتاب يكتبه الإمام لهم؛ لأن الذي يؤول كلامه على غير محمله، بل يعاند ويصرح بعدم تصديق كلام إمامه سيكون هذا شأنه مع وجود كتاب، فقد كانت تعاليم الإمام الصادق في عدم الفرقة والتمسك بالصلاح والورع عن المحرمات مكتوبة بين يدي أصحابه. ولكنه داء قد أعيا الإمام صلاحه. روى الكشي بسنده عن داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إني لأحدث الرجل بالحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله، وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي، فيتأول حديثي على غير تأويله: أني أمرت قومًا أن يتكلموا ونهيت قومًا، فكل تأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله....»[2]. إن الإمام قد شاهد اختلاف شيعته في مجلسه، وليس فقط بعيدًا عنه، بل حتى أولئك الحاضرون في مجلسه لم ينتهوا عن الخصومة في حضرته، وهو ينهاهم عن ذلك. روى الكشي بسنده

(١) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج١٢. ص٢٨٣-٢٨٤.
(٢) الكشي. رجال. مع اختيار معرفة الرجال للطوسي. ص١٧٠.

عـن أبي عبدالله أنه سأل عبدالله بن الوليد عن المفضل، ثم أخبره أن عامر بـن جذاعة وحجر بن زائدة عابا المفضل عند أبي عبدالله، فأمرهما بالكف عنه، فلم يفعلا ثم دعا عليهما، فلا غفر الله لهما[1].

وبعضـ هؤلاء الرواة يسمع كلام الإمام الصادق، فإذا خرج منه والتقى أبا الخطاب تغير رأيه. روى الكشي أن أبا عبدالله يشكو أن ابن الأشيم يسمع منه هـو وصاحبه حفص بن ميمون، ويسألونه، ولكـن إذا خرجوا منه ذهبوا إلى أبي الخطاب، فيخبرهم بخلاف رأي أبي عبدالله، فيأخذون قوله ويذرون قول أبي عبدالله[2].

وفي سـورة غضب الإمـام من هؤلاء القوم الذيـن لم يستطع الأخذ على يدهم، ولم يستطع عقلاؤهم أن يصدوهم ويرجعوهم إلى جادة الصواب، بل إنهم يجالسونهم، يهدد الإمام حتى البريء من الشيعة فيأخذه بذنب هؤلاء؛ وذلك لسكوته عن إنكار تلك المقالات الفاسدة ومجالسة هؤلاء السفهاء. روى الكليني بسنده عن الحارث بن المغيرة قال: قال أبو عبدالله: «لآخذن البريء منكـم بذنب السقيـم، ولم لا أفعل ويبلغكم عن الرجل مـا يشينكم ويشيننـي، فتجالسونهـم وتحدثونهـم، فيمر بكم المـار، فيقول: هؤلاء شـر من هذا، فلو أنكم إذا أبلغكم عنه ما تكرهون زجرتموهم ونهيتموهم كان أبر بي وبكم»[3].

ولمـاذا لا يقبل عقلاء أصحاب جعفر هذا التوجيه من إمامهم الذي هو في منفعتهـم ومنفعتـه، والجواب يبدو أن هؤلاء السفهـاء وأصحاب المقالات الفاسدة من الكثرة لدرجة أن عقلاء القوم لا يستطيعون ردهم. روى الكليني

(١) المصدر السابق. ص٤٠٧.
(٢) المصدر السابق. ص٣٤٤.
(٣) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٦٩.

بسنده عن الحارث بن المغيرة قال: لقيني أبو عبدالله في طريق المدينة، فقال: «من ذا؟ أحارث؟ قلت: نعم. قال: أما لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم. ثم مضى فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت، فقلت: لقيتني فقلت: لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم، فدخلني من ذلك أمر عظيم. فقال: نعم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ما يدخل علينا به الأذى أن تأتوه، فتؤنبوه وتعزلوه، وتقولوا له قولاً بليغًا؟ فقلت: جعلت فداك إذًا لا يطيعوننا ولا يقبلون منا. فقال: اهجروهم واجتنبوا مجالسهم»[1].

وقد روى الكليني بسنده رسالة طويلة وجهها الإمام الصادق لأصحابه يدعوهم فيها إلى الدعة ومجاملة أهل الباطل والصمت والصبر والتسبيح وألا يحرجوا الإمام بأقوالهم وتصرفاتهم. وقد ورد في ألفاظ هذه الرسالة الطويلة ما يأتي:

- «عليكم بالدعة والوقار.. وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم»[2].
- «عليكم بالتقية فيما بينكم وبينهم»[3].
- «عليكم بالصمت و... التسبيح والحمد و... فاشغلوا ألسنتكم بذلك»[4].
- «تحملوا الضيم من هؤلاء الظلمة... تلتمسون بذلك وجه الله»[5].
- «القرآن فيه كل شيء... وقد ضل أصحاب المقايسة....»[6].

---

(١) الكليني. الروضة. مع أصول الكافي. ج١٢. ص١٧٧.
(٢) الكليني. الروضة مع أصول الكافي. ج١١. ص١٤١.
(٣) المصدر السابق. ص١٤٢.
(٤) المصدر السابق. ص١٤٧
(٥) المصدر السابق. ص١٥١.
(٦) المصدر السابق. ص١٥٦-١٥٧.

- «لا تسبوا أعداء الله، حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوًا بغير علم..» [١].
- «ألا يكون منكم محرج للإمام، فإن محرج الإمام هو الذي يسعى بأهل الصلاح... فإذا فعل ذلك أحرج الإمام أن يلعن أهل الصلاح من أتباعه»[٢].
- «اصبروا على البلاء في طاعة الله وولايته وولاية من أمر بولايته... فإن الله أمر بولاية الأئمة الذين سماهم في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾»[٣].

وكتب الحديث عند مذاهب السنة توثق الإمام جعفر الصادق، ولكن لا توثق مرويات رجال الشيعة عنه. قال جلال الدين عبدالرحمن السيوطي: جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين روى عن أبيه وعطاء وعروة وابن المذكور، وروى عنه أبو حنيفة ومالك ويحيى الأنصاري وشعبة والسفيانان وخلق كثير، قال عنه ابن معين: «ثقة مأمون». وقال عنه أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. وقال ابن حبان: من سادات أهل البيت وكبار أتباع التابعين وعلماء أهل المدينة. وأضاف ابن عبدالبر في كتابه تجريد التمهيد: إن جعفرًا كان فاضلاً، وتكذب الشيعة عليه كثيرًا. ولمالك في الموطأ عنه تسعة أحاديث، منها خمسة متصلة مسندة أصلها حديث واحد، وهو حديث جابر الطويل في الحج، والأربعة منقطعة[٤].

لقد كان كثير من علماء المسلمين ومحدثيهم مطاردًا من السلطة السياسية، ولقي العنت والمصاعب، ودفع بعضهم حياته، فقتلوا في زمن

---

(١) المصدر السابق. ص١٦١.
(٢) المصدر السابق. ص١٦٧.
(٣) المصدر السابق. ص١٨٠-١٨١.
(٤) السيوطي. جلال الدين عبدالرحمن (إسعاف المبطأ برجال الموطأ). جـ٢. ص مكتبة ومطبعة البابي بمصر. ١٩٥٠م. وانظر أيضاً ابن عبدالبر. تجريد التمهيد. ص٢٤. مكتبة المقدسي. القاهرة ١٣٥٠هـ.

جعفـر، ولكن نقلـت مروياتهم ووثقت من أصحابهم، ومـن رووا عنهم كانوا ثقات، وهكذا فلم يكن العيب في جعفر نفسه، كي تترك كتب الحديث السنية مروياتـه، ولكن المحدثين هالهـم ما روي عنه من تلكم النمـاذج السيئة من الـرواة، فآثـروا سلامة الحديـث وتدوينـه صحيحًا للأجيـال والابتعاد عن مرويـات هؤلاء، بل إن أغلبهم وَصَمَتْهـم كتب الرجال السنية بالكذب فضلًا عمـا نقلنا من كتـب الشيعة الإماميـة أنفسهم. ومن مراكـز وضع الحديث مدينة قم في إيران وصلتها بالكوفة كبيرة جدًّا، فقد كانت رباطًا للمجاهدين أول الأمر وأكثر من تقاطر إليها هم من أهل الكوفة من العرب، وقد أضحت قـم في أوائـل القرن الثالث موئـلًا للغلاة من الشيعة، فكـثر فيها الوضع في الحديـث والكذب على الأئمة لدرجة دفعت الغالبيـة العرب من أهل قم إلى طرد الغلاة وتشتيتهم كما ذكرنا سابقًا.

وقـد حـاول الشيعـة إيجاد مركـز ديني لمدينـة قم، فوضـع الوضاعون أحاديـث في فضـل قم وسكناها، منهـا أن أهل قم لا يحشـرون للحساب يوم القيامـة كسائر المسلمين، إنما يحشرون في قبورهـم، ثم يؤخذون إلى الجنة دون حشر[1].

إن الـرواة يعيشون في ظل حركة سريـة يظلهم الخوف الدائم من انكشاف أمرهـم وشيـوع معتقداتهم لشدة الإنكار عليهم من المجتمـع والسلطان على حد سـواء، ولهـذا ساد بينهم التقلب في العقيدة، فكثير من الرواة يذكر أنه تنقل من معتقـد إلى معتقد آخر سواء من داخل التشيع أو خارجه. وظهر بينهم انتهازيون متقلبـون يسـيرون مـع المنتصر في ظاهر الحـال، ويبطن خلاف ذلـك... وكتب رجـال الشيعـة مليئة بهذه الحقيقـة؛ فكثيرًا ما تتحدث عن راوٍ ثـم تضعفه؛ لأنه

(١) المجلسي. البحار. ٦٠ – ٢١٨.

انتقـل إلى صفوف العامة (السنـة)، أو أنه أضحى فطحياً أو واقفياً. وهذا عامل أساسي من عوامل ضعف الحديث.

إن هـؤلاء الرواة قد شاركـوا بطريق أو بآخر في الحـركات المناهضة للدولة الأمويـة أو العباسيـة فيمـا بعد، أو شـارك آباؤهم وأجدادهـم في هذه الحركات، التـي كانت أكثرها حركات فاشلة، فتوافر الحياد السياسي في القول والسلوك أمر نـادر الحصول منهم. إن بعض هؤلاء الرواة قد ادعى النبوة أو ادعى بالوكالة عن الإمام، جمع بعضهم الأموال مدعيًا أنها للإمام ثم يغلها لنفسه ويرفض تسليمها. والبعض ذكـر أنـه شارك في ثـورات الكوفـة ونادى بحليـة المحـارم وإباحة نكاح الغلمـان، والبعض نـادى بأفكاره الفارسية كالتناسخ وغيرهـا مثل ادعاء الربوبية في حق الإمام الصادق. ومن أجل معرفة المدى الذي أحدثه هؤلاء الرواة في إيجاد قواعـد وأصـول الشيعة لا بد من الربط بين ما ذكره علماء الرجال عنهم من طعن وأسبابه وبين الحركات والثورات السياسية التي شارك فيها هؤلاء الرواة في الكوفة والمدائن ومراكز التشيع، كما استعرضناها في مكانها.

مـدى حصول الـراوي على حصة من أمـوال الخمس عـن طريق الجهات النافـذة له أهمية في اتجاه الرجـل وأقواله عن نفسه وعن الآخرين، وقد ذكر أن بعضـ الرواة احتجزوا لديهم أموال الخمس التي جمعوها ولم يؤدوها للإمام، أو أن البعض أنكروا ما عندهم، أو أن البعض كان وكيلًا عن الإمام فأساء التصرف في هـذه الأموال. ولا شك في أن هذا العامل كان له بالغ الأثر في استغلال ضعاف العقـول والسذج من الشيعة؛ ودافـع أساسي لوضع الأحاديـث والروايات المؤيدة لمصالحهـم المالية، كما شاهدنا في أفـكار البعض لإمامة القادم بعد موت الإمام السابق.

إن إيمـان الرواة بـأن إمامهم معصوم عن الخطأ والمعصية، وأن علمه علم لـدني إلهي يتلقاه من النبـي أو بالإلهام أو يسري بالأصـلاب، وما ينقل لهم من معجـزات وخوارق لا يحتمل العقل البشـري تصديقها، كل ذلك سبب انقسام في عقليـة الرواة، فمنهم بعـد إدراك الحقيقة اندفع بالاستهتـار بالمذهب وعقائده وإمامه، فأظهر المروق واندفع بالكذب على المذهب وعقائده وإمامه، وأخذ ينتحل مـن عقائد أهل الكتاب وأفكارهم وعقائد قومه وأجـداده خاصة إن كان فارسي الأصل؛ لأنها في متناول يده، والقوم حديثو عهد بهذه الأفكار.

ولأن غالبيـة رواة الشيعة من الموالي وإن تسمـوا بأسماء عربية، حيث درج المسلمون قديمًا حينما يشترون رقيقًا أو يكسبونه في الحرب، فيدخل في الإسلام يتسمـى باسم عربي مسلم، ويتخلى غالبًا عن اسمه الأعجمي أو بعضه، وينتسب لنفس قبيلة مولاه، وبجانب ذلك قد أصر أكثر الذين لم يدخلوا الإسلام - وكانوا ممـن يدفع الجزيـة - على الاحتفـاظ بأسمائهم الأعجمية حينًـا، لكن نلاحظ أولاده ونسله يدخلون الإسلام ويتسمون بأسماء عربية.

ولكون أكثر الرواة الشيعة من الموالي وعلى الأخص من الفرس، وإن العرب بينهم قلة نجد لذلك آثارًا كثيرة على أحاديث الشيعة منها:

أ- يرشـح مـن أفكارهم وعقائدهـم كراهية العرب عمومًـا، وأصحاب رسـول الله ﷺ خاصـة، وقـد سبـق أن عالجنا هاتـين الظاهرتين، وأوردنـا تفاصيل وأحداثًـا كثيرة تنم عن ذلك، وقـد شجعهم على ذلـك كون أغلب أئمة الشيعة من أمهـات فارسيات. وقد أظهر هذا العامـل مجموعـة أحاديـث نسبت للأئمـة فيها تحذيـر من العرب والدعوة لكراهيتهم، كما أوردنا على ذلك من أمثلة صريحة.

ب- دسوا أحاديث كثيرة في مدح مدنهم (الكوفة. قم. طينة كربلاء...) وأصولهم الفارسية المنحدرين منها (سلالة الأبناء والأكاسرة). وهذا رد فعل تجاه أسيادهم العرب أصحاب السيادة والمال. وقد أوردنا على ذلك الأمثلة الكثيرة من الأحاديث المكذوبة.

ج – قام هؤلاء الرواة الموالي بنقل عقائد وأفكار دياناتهم القديمة والخرافات، التي كان يؤمن بها أجدادهم في مواطنهم، وألبسوا هذه الأفكار والخرافات صفة دينية شيعية، وضعوها بلسان الإمام برغم نفي أئمتهم لهذه الأفكار كما سبق أن استعرضنا ذلك. كما قام هؤلاء الرواة أو بعضهم من استعارة بعض الأفكار والعقائد من ديانات أخرى كاليهودية والنصرانية إضافة لأفكارهم الفارسية، سواء الزرادشتية أو المزدكية، وقد عالجنا هذه الأمور في موضعها لأهمية ذلك بالوقائع والأمثلة الدالة.

د- لكون غالبية هؤلاء الرواة من الكوفة نلاحظ أن بينهم وبين الكوفيين الآخرين من مذاهب أخرى تعصبًا ورد فعل ضد مخالفيهم من أصحاب أبي حنيفة مثلًا وخلافهم معهم حول شرب النبيذ أو السجود على ما لم تنبته الأرض أو المسح أو غسل الرجلين أو الجمع بين الصلاتين، وهم يقومون بذلك غالبًا لمجرد التفرد وإظهار المخالفة، وقد أوردنا فكرتهم التي وضعوها على لسان أحد الأئمة أنه إذا أشكل عليهم شيء في الدين، فخالفوا العامة (السنة)، فإن (الحق ما خالفهم). كل ذلك على الرغم من أن مصادر الشيعة خاصة القديمة مثلًا تورد غسل الرجلين في الوضوء من قبل الإمام علي.

هـ- مخالفة بعض هـؤلاء الرواة، حتى ما أجمـع المسلمون عليه، وذلك لمجـرد المصلحة الخاصة، ففـي المواريث مثـلاً أورد الكليني[1] عن عبـدالله بـن محرز قـال: سألت أبـا عبدالله ﷺ عن رجـل أوصى إليَّ وهلـك وترك ابنة، فقال: «أعط الابنة النصف، واترك للموالي النصف». وفي هذا دوافـع مادية كما هو واضح برغم مخالفة ذلك لما استقر عليه المسلمون أو حتى مذهب الشيعة الإمامية نفسه.

إن غالبيـة رواة كتـب الحديث الأربعـة المعروفة عند الشيعـة الإمامية مطعون فيهم عند علماء رجال الشيعة، فمن بين مئة وثلاثين راويًا أوردناهم بوصفهـم مثـالًا لعينة نجد قرابة نصفهم مطعونًـا فيهم من رجال الحديث عنـد الإمامية أنفسهم، وقد تـراوح الطعن بالكذب ووضع الحديث أو كونهم مـن الغلاة فاسدي المذهب. فإذا أخذنا مثلًا الراوي زرارة بن أعين المطعون فيـه عند الجميع الـذي وصمه الإمـام الصادق بالكذب ثـم باللعن نجد له ٢٠٩٤ حديثًـا مرويـاً في كتـب الحديث الأربعـة المعروفة، وهـذا بعض السر في الـداء الـذي أصاب روايـة الحديث عنـد الشيعة الإماميـة. فكيف بحال الآخريـن. ومثله جابر بن يزيد الجعفي الذي ذكر أن له سبعين ألف حديث، وفي روايـة أن لـه خمسين ألف حديث لم يحدث بها مع ورود رواية عن الإمام الصادق في حق جابر أنه لم يَرَه عند والده الإمام الباقر إلا مرة واحدة، ولم يدخـل على الإمام الصادق قط. فيبدو أن هنـاك تساهلًا عند الرواة أمثال جابر (وهو مختلف في توثيقه عند الشيعة الإمامية) من إمكان اعتبار رواية الحديـث لا عن لقاء ومشافهـة، وإنما مجرد السماع من الآخرين أو القراءة

(١) الكافي. ج٧ ص٨٧ من الفروع.

في كتب اشتراها من السوق على حد تعبير أحد الرواة. إن هذا الوضع تسبب للمتأخرين من المحققين في وضع غاية في الصعوبة والحيرة.

من بين المئة والثلاثين راويًا الذين أوردناهم كعينة توثق كتب الرجال عند الشيعة الإمامية ثلاثة وثلاثين راوياً منهم، وهي نسبة قليلة تجعل أثرهم ضئيلًا في صحة الحديث المروي، خاصة إذا ما علمنا أن كل حديث يعتمد على سلسلة من الرواة قد تبلغ الأربعة أو الخمسة، فقلما يجتمع في هذه السلسلة الموثوقون جميعًا، فإذا وجد موثق واحد وبقية الآخرين مطعون فيهم سقط الحديث طبعًا. والملاحظ من مصادر الرجال المذكورة أن هؤلاء الرواة الموثوق فيهم أكثرهم ليسوا شيعة (اثني عشرية) إمامية، (أي لا يؤمنون باثني عشر إمامًا)، وإنما أكثرهم من الواقفة الذين توقفوا عند إمامة موسى الكاظم، وقالوا: إنه لم يمت بل هو المهدي ولم يقروا بإمام بعده (علي بن موسى) أو إنهم من الفطحية الذين قالوا بإمامة عبدالله بن جعفر بن محمد الأفطح، فلم يسوقوا الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم، كما فعل (الاثني عشرية). أو إن البعض من فرقة الشيعة الزيدية. وهذه ملاحظة مهمة جدًّا يجب التوقف عندها ودراستها؛ للوصول إلى أسباب ذلك.

لماذا تشهد كتب الرجال بأن أكثر الموثوق فيهم هم من الواقفة أو الفطحية أو الزيدية. ولماذا يكون أكثر المطعون فيهم هم من الإمامية (الاثنا عشرية)؟ على الرغم من أن الإمام أبا الحسن الرضا قد وصم الواقفة بأنهم كفار ظالمون أو مشركون يعيشون حيارى، ويموتون زنادقة، ولا تجوز الزكاة لهم. وقد أشار الطوسي في كتابه (الغيبة)، وتساءل كيف يمكن الوثوق بمرويات الواقفة والطعن عليهم كثير من أصحابنا[1].

(١) الطوسي. الغيبة. ص٤٢.

مـن بين المئة والثلاثين راويًا الذين أوردناهم سالفًا أربعة وثلاثون راويًا مختلـف في توثيقـه عند مصادر رجـال الحديث الشيعة، كمـا هو موضح في الجـدول المرفـق، والأصـل في رواية الحديـث احتياطًا ألا يدسـ على الإمام أو النبـي ﷺ مـا لم يقله. وكـذا فإنه يجب أن يسقط روايـات هؤلاء، ويلحقوا بالمطعون فيهم تحوطًا، وبهذا ترتفع نسبة المطعون فيهم إلى أن يصلوا إلى ما يقرب الثلثين، مما يجعـل من الصعب جدا على العلماء والمدققين قبول كتب الحديث، يمثـل ثلثا رواتها مطعون فيهم في المذهـب نفسه. وهناك ملاحظة مهمـة في هـذا الباب هنا، حيـث نجد في هذه الفئة غالبًا مـا يأتي الطعن في الراوي من المصادر القديمة كالكشي أو النجاشي [1].

ثـم يأتـي توثيقه أو تعديلـه من المتأخريـن من رجـال الحديث كالحر العاملي أو المحقق الحلي لأسباب واهية وبعضها عجيب، كأن يقال: إن الطعن ورد علـى دين الرجل ولم يقع على روايته. كما هي عبارة ابن الغضائري عن أبـي بصير ليث المرادي، ويبـدو أن هذه القاعدة هي السائدة في هذا القسم من الرواة الذين ذكرنا منهم هشام بن الحكم والمختار بن عبيدالله الثقفي وغيرهـم ممن عرفـوا بفساد عقيدتهم ودينهم، فمـا الداعي إلى توثيقهم؟ الجـواب الـذي نستقرئه هنا: أن العلمـاء المتأخرين وجـدوا أن غالبية رواة الحديـث في كتب الشيعـة مطعون فيهم في مصادر الشيعـة نفسها، فإن هم أخذوا بهذه الطعون على سبيل الدقة كما هو الحال عند السنة، فإن أحاديث كتب الشيعـة الأربعة أو غيرها تسقط في الاختبـار، فاضطروا إلى التساهل في حـال الراوي، وأخذوا يجـدون له الأعذار بأن ما ورد عليه من طعن مثلًا، إنما كان سابقًا لروايته تلك، فقد تاب الرجل مما وصم به، ورجع عن ذلك،

(١) الطوسي. الغيبة. ص٤٢.

وهكذا نجد مثل هذه الأعذار حتى تقبل روايته أو تعدل، وهذا منهج خاطئ، وكان الأولى عقلًا وديانة لحفظ دين الله. إسقاط هؤلاء الرواة وما رووه من أحاديث أصبحت عبئًا على الشيعة والتشيع، والتبرء منهم ومن مقولاتهم هو الأولى.

إن الانحراف الذي أصاب التشيع منذ البذرة الأولى حصل على يد رواة كذبة مطعون فيهم من الأئمة أولًا ومن بقية المسلمين، ولكن الحركات السرية غالبًا لا تستطيع البراءة أو التخلص من المنحرفين للطبيعة السرية في قيادة المجموعة التي لا تستطيع نشر تعاليمها بكل حرية ووضوح للجميع، فيختلط الغث بالسمين، ويورث هؤلاء الحيرة لعلمائهم المتأخرين. ومن ذلك مثلًا إصرار الراوي على أفكاره المخالفة للإمام لمجرد أنه لا يريد الرجوع عنها؛ حمية لنفسه وللشيعة معًا في الكوفة، فهذا محمد بن علي بن النعمان الأحول يعترف بأنه لكثرة احتجاجه وخصومته للآخرين من مخالفيه لا يستطيع التراجع عن رأيه وإن خالف إمامه، وذلك لمجرد الحمية[1]. وهذا باب من أبواب الكذب في الحديث دخل على رواة الشيعة.

بعد وفاة كل إمام من الأئمة الاثني عشر يختلف الشيعة في الإمام الواجب اتباعه، فتنشأ من هذا الخلاف فرق أخرى، وهذا قد أثر كثيرًا على حال الرواة لحديث الشيعة؛ مما أورث عدم الثقة في سلسلة الرواة التي تتعرض للانفصام كلما توفي إمام وظهر الاختلاف فيمن يستحق الإمامة بعده.

(١) الكشي. رجال. ص١٩٠.

للطبيعة السرية لفرقة الشيعة ومخالفتها للدولة، فقد درج أئمة الشيعة على تنبيه رجالهم بأنهم تحت رقابة السلطة السياسية، وأن أقوال الأئمة محسوبة عليهم من السلطات، ويطلب الأئمة عدم إحراجهم وتوجيه أسئلة مباشرة في حضرة آخرين خاصة فيما يتعلق بالإمامة أو جمع الأموال المتعلقة بالزكاة أو.... وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل، عندما تكلمنا عن أصحاب الإمام الصادق وموقفه منهم. لقد استغل بعض ضعاف النفوس من هؤلاء الرواة توجيه الأئمة هذا أوسع نطاق، فأحيانًا يدعون أن كلامه ورد على سبيل التقية، وأخرى يدعون أن كلامه ورد بخلاف ما سبق أن أجاب في سنة سالفة، ففتح الباب أمام الكذابين لاستغلال هذه الثغرة لتوثيق ما يريدون من أقوال ونفي ما لا يشتهون مما أظهر أفكارًا لا عهد للأئمة بها، وبرغم نفيهم تلك الأفكار فقد كان صوت هؤلاء الرواة، وخاصة بالكوفة أعلى وأقوى من توجيهات الأئمة الذين لا سلطة لهم على هؤلاء ولا على غيرهم، خاصة لبعدهم في المدينة. وقد ذكرنا كيف أن هشام بن الحكم يطلب منه الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا عدم الكلام، فلم يمتنع، وقد تسبب ذلك في قتل الإمام، كما فصلنا ذلك في موضعه.

ومما يلاحظ على بعض الرواة المصنفين الذين وثقهم علماء الرجال، بل ربما أجمعوا على توثيقهم كما ذكرنا ذلك مثلًا في حق محمد بن يعقوب الكليني وعلي بن إبراهيم القمي مع أن هؤلاء قد أوردوا في كتبهم روايات في تحريف القرآن الكريم، حيث إنهم لم ينكروها أو ربما قبلوا بعضها مما دفع بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنهم يجيزون ويرون صحة الروايات في تحريف القرآن. ومع أن هذا أمر عظيم في دين الإسلام لا يقول به مسلم صحيح

العقيدة مع كل ذلك اعتبروا من الرواة الموثوقين عند الشيعة أجمعين، إلا ما شذ من العلماء ربما. وقد سبق أن أوردنا نصوص الآيات المحرفة والواردة عند الاثنين معًا. وهذا من جملة التساهل الموجود في حق الرواية والراوي عند الشيعة الإمامية.

ومشكلة أخرى لا تتعلق فقط بعقيدة الراوي، وإنما تتعلق بعمله وسلوكه الشخصي، فمن الأمور المعروفة في توثيق الراوي ألا يخالف عمله ما يرويه، وقد شهد الإمام أبو الحسن ﷺ على مخالفة شيعته العملية لما يروى عن الأئمة، فقد ذكر: «لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة (ربما واقفة)، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم لم يبقَ منهم إلا ما كان لي أنهم طالما اتكؤوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي. إنما شيعة علي من صدق قوله فعله»[1]. فإذا كان الإمام نفسه قد شهد بأن أفعال أكثر أصحابه هؤلاء تخالف أقوالهم، فأي ثقة بقيت في الراوي. ولكن بعضًا من المتأخرين من الشيعة المحدثين يفصلون بين عمل الراوي (فساده) ومنطوق روايته.

إن هذا العدد الكثير من الرواة الكذابين والمطعون فيهم من كتب الرجال القديمة، خاصة ما ورد ضدهم من لعن الأئمة إياهم والأقوال المنكرة في رواياتهم المخالفة لعقيدة الأئمة والمسلمين عمومًا، وكذلك تلك الروايات المشحونة بالخرافات، التي لا يمكن أن يصنعها من كان له ذرة من عقل. أقول: هذا الوضع ليس طبيعيًّا ولم يحصل عفويًّا، ومن المحتمل أن أعداء الشيعة السياسيين قد دسوا هؤلاء الكذابين؛ ليروا تلك الخزعبلات التي ملئت

(١) الكليني. الكافي. الروضة. ص ٢٢٨.

بهـا كتب الحديث وتلـك الأفكار والعقائد المخالفة لعقيـدة آل البيت، كما هي معروفـة ومحققة عند المسلمين الآن، وهـذا الكذب الهائل لا يمكن أن يحصل اعتباطًـا. وقياسًا على ما يحصل من اختراقات للجماعات السرية في العصر الحديـث وقيـام متعاونين لجمع معلومـات عن هذه الجماعـات، وتكوين فكر مضـاد لها من داخل فكر هذه الجماعات بحيث يؤدي الحال إلى تمزيقها من الداخل أمر ليس ببعيد حدوثه. فمثلًا كتاب سليم بن قيس الذي يشار إليه أنه من أول الكتب التي ظهرت في فكر الشيعة، وأنه من كتب الأصول تعرض لنسبة كبـيرة مـن الانتحال، فقد قيـل: إن ما ورد فيه جملة هو مـن الموضوعات وهو نفسه منهم من الكذابين، ومما يدل على وضعه أنه قد ورد فيه أن الأئمة ثلاثة عشـر إمامـاً لا اثني عشر، وأن محمد بن أبي بكر قد وعظ أباه عند الموت، مع أنـه كان يقترب من السنتين من عمره، وإن علماء الشيعة لديهم نسخ مختلفة في كميـة ما ورد في هـذا الكتاب [1]. وقد ورد صراحـة أن أبان بن أبي عياش، وهـو الـراوي الوحيد لهـذا الكتاب هو الذي وضـع هذا الكتـاب. والسؤال: ما الدافع إلى أبان أن يكذب فيضع هذه المعلومات وما غايته من ذلك؟ إنني أدعو الباحثـين إلى تقصي هذا الأمـر لأهميته البالغة، وأنـه سيكشف في المستقبل الكثير من الغموض المحير في أفكار وعقائد الشيعة.

لماذا يصر هشام بن الحكم على ترويج أفكار الغلاة في الكوفة والعراق، وينسـب للإمام أبي الحسن أقـوالًا لم يقلها مما يسبب بذلك اضطهاد الإمام وحبسه من قبل الحاكم وقتله بعد ذلك.

من هو يحيى بن خالدة الذي كان ينقطع إليه هشام بن الحكم؟

(١) أورد ذلك العلوي الحسيني في مقدمة الكتاب.

ومن هو أبو شاكر الديصاني الذي تصفه المصادر بأنه زنديق تتلمذ على يده هشام بن الحكم؟

إن الدفاع عن الكذابين، ومن لعنوا على لسان الأئمة ومحاولة تعديل رواياتهم وإيجاد السبل والأسباب لمحاولة توثيقهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا هو غفلة من المحققين وخطأ كبير في حق المذهب ورجاله؛ فإسقاط رواياتهم وأحاديثهم أصلح للمذهب وأهله.

وفي الكلام عن أخبار الآحاد ومدى صحتها والعمل بها ذهب أكثر المحققين إلى صحتها والقول: إن الطائفة درجت على قبولها، وقد ذهب صاحب كتاب العمدة (الطوسي) إلى ما نقله السيد أبو القاسم الخوئي: «... عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب محمد ابن أبي زينب في حال استقامته، وتركوا ما رواه في حال تخليطه»[1]. وقد أفردنا الحديث عن أبي الخطاب ومن كان هذا شأنه من الصعوبة قبول روايته ومن غير الصحيح معرفة أوقات تخليطه واستقامته.

من الذي دفع إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق لأن يتحلق حوله رجال، ثم ينشقون، ويكونون جماعة دينية منفردة بآرائها الغريبة عن الأمة هل تجري مصادفة. روى الكشي بسنده عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك، ما لك ولابني يعني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعًا إليه يقول فيه مع الخطابية»[2].

(١) الخوئي. معجم الرجال. ج١٤. ص٢٥٩.
(٢) الكشي. رجال. ص٢٧٢.

مـا المصلحة من دفع ابن الإمـام إسماعيل من اعتناق مذهب الخطابية الشـاذ، الذي سبق أن أوضحناه، وإدخال ذلك علـى الشيعة وعلى إمامهم في خاصة أهله وأبنائه؟ وقد ذكر للمفضل مصنفات سربت للمذهب منذ القديم كذبـه وأهدافـه من خلالهـا، ومنها مـا وصل إلـى الشيخ الطوسـي في كتاب الغيبة[١].

إن أمثال كثير النـوا وسالم بن أبي حفصة وأبي الجارود الذين وصمهم الإمام الصادق ليس فقط بالكذابين وإنما بالمكذبين، فلما سأله أبو أسامة عما يقصد بالمكذبين، قـال الإمام: كذابون يأتوننـا، فيخبرونـا أنهم يصدقونا، وليـس كذلـك، ويسمعون حديثنا ويكذبـون به[٢]؛ فالمسألـة مقصودة ومدبرة سلفًـا كما يبدو. ونقـل ابن النديم في الفهرست عن محمـد بن سنان قوله في حق أبي الجارود:«لم يمت حتى شرب المسكر وتولى الكافرين»[٣]. فماذا تعني ولاية الكافرين هنـا أليس منها وضع الأحاديث والكذب على الإمام الصادق؛ بغيـة إظـلال الشيعة في الكوفة وغيرها ووقوعهم في حـيرة من أمرهم لهدف سياسي كبير.

إن والي الكوفة لما أراد معرفة مكان اختباء عقيل بن أبي طالب الذي قدم لأخـذ البيعـة للحسين بن علي من أهل الكوفة دس العيـون التي توصلت بالمال والخديعـة إلى الهدف المطلـوب، وقتل عقيل رحمه الله علـى إثرها، ونقل لنا التاريـخ تفاصيل كيف تم ذلك، ومن الرجال الذين قاموا بذلك، ولكن الكذب

(١) الطوسي. الغيبة. ص٢١٠.
(٢) الكشي. رجال. ص٢٠٠.
(٣) ابن النديم. الفهرست. ص٢٥٣.

في الحديث برغم خطورته الفكريــة على مستقبل الحركات السياسية لا يبين بوضوح من الشواهد والوقائع الدينية، كما هو الحال في الوقائع السياسية.

لقــد أرشــد الإمام الباقــر قديمًــا، فقال في حق هــؤلاء الكذبــة وفضح مقصدهم «.. لقد رووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله؛ ليبغضونا إلى الناس)[1]. وقــد تنبه إلى ذلك كثير من المحققــين، وأشار بالطعن على هؤلاء، ولكن ذلك لا يكفــي، لقــد بقيت تعاليــم أولئك الكذابــين في بطون الكتــب، وتأصلت على أساسها أصول، فهل هناك قدرة على رفعها من جذورها؟

ومــن التساهل الواضــح في قول الراوي ومحاولة توثيقــه خاصة من قبل علمــاء الرجال المتأخرين، فبعض علماء الرجــال القدماء مثلًا يدفع الراوي، فــلا يوثقــه بسبب مــا عنده من غلــو في المذهــب، فيأتي المتأخــرون فيلطفون لفظــة الغلــو الشنيعة عند جميع العلمــاء والمسلمين إلى القــول: إن في مذهبه (ارتفاعًــا)، وهي لفظة ملطفة مفادها أن في مذهبــه غلوًا مقبولًا، وهذا يدل عنــد هؤلاء أن كثيرًا ممن اشتهروا بالغلو قد يكونون رواة مقبولين. ومن أمثلة ذلك محمد بن بحر الرهيني، فقد وصمه الشيخ الطوسي[2] بأنه متهم بالغلو، في حين قال عنه النجاشي: إن في حديثه قربًا من السلامة على الرغم من أن بعض الأصحاب ذكر أن في مذهبه ارتفاعًا[3].

ومثل ذلك أيضاً ما ورد في حق عبدالله بن خداش المهري الذي قال عنه النجاشي: «ضعيف جدًّا وفي مذهبه ارتفاع» ولفظة جدًّا هي إشارة إلى أنه من

(١) الكشي. رجال. ص.
(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص٣١٨.
(٣) النجاشي. رجال. ص٢٧١.

أصحـاب الغلو والارتفاع. ولكـن الحر العاملي يفهم من ذلك قائلًا: «إن فساد مذهبه لا ينـافي التوثيق»[1]. وهكذا تتسرب أفكار الغلاة والكذابين عن طريق هذا التساهـل في توثيقهم وقبول روايتهم، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ لأنها هي الخرق الذي دخلت منه البلايا والمصائب على الشيعة.

محمـد بن علي بن هلال عـده الشيخ الطوسي في كتابـه (الغيبة) من المذمومـين، ويستقرئ الحر العاملي أن يكون وجـه الذم اقتران اسمه باسم زرارة الملعـون مـن الإمام الصادق لكذبه، ومع هذا يقـول الحر العاملي عن ابن هلال هذا: «ما نقل عنه من سبب الذم لا ينافي كونه ثقة في الحديث»[2].

اليـوم، وقد تهيـأت سبل التحقيق وحريـة الكتابة والتأليـف، وأصبح ما كان سرًّا يخشـى انتشاره لدى الخصوم أضحى في متناول جميع طلاب العلم والحقيقـة، فلمـاذا لا يشمر طلاب العلـم الشيعة خاصة لدراسـة هذا الأمر وإيضاحـه للناس. إن إعـلان الحقيقة ونشر العلم بما فيهـا أخطاء الماضين، ومـا جروه من ويلات، ومـا ارتكبوه من آثام وكذب في حق إخوانهم في المذهب لهو أجـدى اليوم للشيعة والمسلمـين عمومًا من الإصرار علـى أخطاء الماضي وتبريرها بشتى الأسباب الواهية.

أليست وحدة المسلمين واتفاقهم على أصول عقائد الإسلام التي تحميهم مـن التمزق والتشـرذم المذهبي أمام أعدائهـم وخصومهم الكفرة أهم من تأصيـل أفـكار الغلاة وممزقي الأمـة والطاعنين رجالهـا وخلفائها وأئمتها وصحابتها.

(١) الحر العاملي. الخاتمة. ص٢٣٦.
(٢) الحر العاملي. الخاتمة. ص ٢٣٥.

ماذا يضر مذهب الشيعة إذا أعلن علماؤهم بعد تحقيق ودراسة محايدة إبطال فكرة الغيبة وغيرها إذا تحققوا من أن رواتها ومخترعيها منذ ذلك الوقت، كما أوضحنا كانوا إما أصحاب أغراض شخصية أو من الغلاة الهادفين إلى فرقة الأمة أو على أقل تقدير من حسني النيات الذين اجتهدوا للمذهب وأهله لما ينقذهم في تلك الظروف من محن وعنت أصبحت الآن لا مبرر لها.

من المؤسف أن تتحول شهادات قدماء الشيعة في حق بعض الرواة غير الموثقين لأسباب ذكروها بصراحة مثل ذكر النجاشي عدم توثيق رواية جعفر الجعفي لاختلاطه عقليًّا، من المؤسف أن تتحول هذه الشهادة مثلًا عند المامقاني أي اعتبار الاختلاط المذكور لا أصل له؛ لأنه ناشئ عن رواية الجعفي لأمور في الأئمة غير مقبولة عند القدماء، ثم صارت اليوم من ضرورات مذهب الشيعة، وكانت تعد غلوًّا. وهذه حجة المامقاني في عدم قبول الآخرين ما ورد من اختلاط عقل الجعفي[1].

إن القاعدة التي استخلصها من محققي الرجال المتأخرين تعتمد أكثر على مدى تطابق ما يروى مع قواعد المذهب التي استقرت فيما بعد عندهم، فإذا كان الحديث منطوقًا يتفق مثلًا مع فكرة البداء أو الغيبة أو التقية أو... فالحديث صحيح والراوي ثقة برغم ما قد يرد من قدح في شخصه. وهذه القاعدة إذا كانت بسيطة وسهلة على المحقق في العصور المتأخرة التي استقرت فيها أصول مذهب الشيعة، وأصبح من العسير تغيير ما توارد عن القدماء، ولكن هذه القاعدة غير صالحة، ولا يمكن تطبيقها على قدماء الرواة وأحاديثهم؛ لأنهم هم الذين اخترعوا هذه الأفكار والعقائد، فأصبحت

(١) المامقاني: تنقيح المقال. ج١. (جابر الجعفي).

بمرور الزمن وتعاقب إخفاء العقيدة وسترها أضحت قواعد وأصولًا لمن جاء بعدهـم، على الرغم من أن مخترعيها ربمـا غلاة كذابون أصحاب أغراض كما ذكرنا.

لقـد تفنن أصحاب الأغراض هؤلاء بهدف وضع الشيعة في ظلام دامس يصعـب على عامتهم، فضلًا عـن عقلائهم معرفة الحقيقـة والوصول إليها بوضـوح دون عناء وتكتم وسرية، فأشاعوا مقولـة الإمام الصادق: «إنه ليس مـن احتمـال أمرنـا التصديق لـه والقبول له فقـط أن احتمـال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله....». أولوا هذه النصيحة وجوب كتمان الأفكار الغالية والمنكـرة التـي أشاعوها في حين كان الإمام الصـادق يعني بذلك ليست تلك الأفـكار التي اخترعها هـؤلاء الكذابون، فأضحت أصولًا مـن أصول الشيعة، وإنما المقصود به أمر الشيعة السياسي في التهيؤ للانقضاض على الحكم من يـد الأمويـين وتخليص الشيعة مما هم فيه من شدة وعناء، هذا إن تحقق أن الإمام قد قال ذلك حقًّا.

ليس في أصول الإسلام وقواعده وتعاليمه ما يقتضي ستره وإخفاءه عن كائن من كان، بل بالعكس بعث نبي الإسلام بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها، وليس في أصولها وأفكارها ما يقتضي كتمانه بل يؤثم من يكتم الحق ويخفيه، فما فائدة أن تتحول قواعد الإسلام وتعاليمه إلى تعاليم باطنية خفية تمكن كل صاحب غرض من تأويلها على هواه؟ وقد انتهت التعاليم الباطنية بفناء مذاهبهـا ومريديهـا؛ لاتجاههم نحو سـراب لا يؤمن بـه إلا قطعان الجهلة والغافلون عن الحق أو طلاب الدنيا المستغلون تلك القطعان.

لقـد سلك بعضـ طلاب العلم مؤخرًا بعد أن أدركـوا هذه الحقيقة إلى محاولة إنكار بعض شخصيات الرواة أو الرجال الذين تحلق في عنقهم بعض أوائل أصول الشيعة: كعبد الله بن سبأ وغيره، فأنكروا وجود هذه الشخصيات، ولكن هذا المسلك خاطئ من أصله؛ لأنه ينفي الغلاف الخارجي، ويبقي على الحقيقة الباطنيـة التي خلفها السبئية للتشيـع، والصحيح معالجة الجذور والأصول لا القشور الخارجية. وقد قام البعض بجهد مشكور كما فعل السيد هاشـم معـروف الحسينـي في دراساته في الحديـث والموضوعـات، وأوضح بأجلى بيان أولئك الكذبة والمنافقين والغلاة من الرواة وأوضح توثيق البعض لهم، ولكن هذا العمل برغم أهميته يعد وسيلة للوصول إلى الهدف، والهدف هو معرفة الحقيقة وكشف تلك الأفكار التي بذرها هؤلاء الكذبة منذ القديم، فأصبحت أصولًا لمن جاء بعدهم لا يقدرون الخروج عليها.

ومن قدمـاء أصحاب الرجال الذين كشفوا أحـوال الرواة ما كتبه ابن الغضائري (أحمد بن الحسين)، حيث خص بالكتابة (الضعفاء) ولصراحة ما فيه من انكشاف الكذابين والغلاة عمد بعض علماء الشيعة إلى نفي نسبة الكتاب لصاحبه لأسباب واهية، ومنهم المجلسي وغيره.

هـل كان الأئمة يطلبـون المستحيل من الرواة الذيـن يفدون إليهم فيما يتعلق بالنص المنقول؟

هل يعقل أن يطلب الإمام من الراوي أكثر من الصدق فيما ينقل عنه فيما يخص قواعد الدين وتعاليمه وفتاواه؟ لقد أوردنا الكثير من أقوال الإمام الصادق وشكواه من كذب الرواة عليه ولعن بعضهم بالاسم والفعل معًا.

لقد تفتق ذهن الكذابين على الأئمة والإسفاف في تضليل الشيعة إلى أن يرووا عن الإمام الصادق قوله: «إني لأحدث الرجل الحديث فينطلق فيحدث به عني كما سمعه، فاستحل به لعنه والبراءة منه»[1].

ويعلل النعماني ذلك (لأن الكلام عن الغيبة) أن الإمام «يريد أن يحدث به من لا يحتمله، ولا يصلح أن يسمعه». لماذا؟ هل دين الشيعة غير دين الإسلام المعروف الواضح؟ إن النعماني لما تأصل في ذهنه وعقيدته فكرة الغيبة التي أنكرها جمهور المسلمين اعتبرها مما لا تصلح أن يحدث بها كل إنسان أنها سر من أسرار المذهب؛ لأنها مخالفة لما اعتقده المسلمون، ولما سمعوه من نبي الإسلام ﷺ. لماذا لا يكون التأويل أن الإمام ربما قصد ألا يحدث بجميع ما يقول، وخاصة من أمور سياسية أو لها علاقة بالحكم والسياسة أيًا كان من الناس؛ خشية أن يؤذي ذلك الإمام وأتباعه مما هو معروف من أحوالهم ذلك الوقت.

لم يكن دين الإمام الصادق ولا أئمة آل البيت جميعًا ما يوجب ستره أو أن يتحدث به لأناس مخصوصين، وإنما الدافع لذلك أن يستغرق الكذبة والوضاعون، فيحدثون عامة الشيعة بما يعن لهم من أفكار غالية وخزعبلات خارجة عن التصديق، ثم يوحون إليهم أن تصديقها صعب مستصعب حسب كذبهم بأن ذلك من أقوال الأئمة.

وهكذا تستشري بينهم تعاليم الكتمان التي ربما كانت في الأصل ذات هدف سياسي سري إلى أن تنتقل، فتكون كتمان المنكر في العقيدة والسلوك والأخلاق واستخدام التقية في غير محلها المشروع. بدل من كتمان الأهداف

(١) النعماني. الغيبة. ص ٣٦.

السياسية، فيندفع الرواة الكذابون في إيهام العامة أن الأئمة لديهم علوم عظيمة مخفية كعلم الجفر، وأن لديهم (الجامعة) التي حوت علوم الأولين ومعارفهم. ولهذا، فالأئمة يعلمون جميع اللغات ويعلمون لغات الحيوان والطير، بل وصل بهؤلاء الكذبة أن الأئمة يعلمون الغيب، وجمعوا معجزات ذكروها لكل إمام ترشح بالغلو والكذب، وهي إساءة للأئمة فضلاً على كونها سخرية من عقول من يقرؤها، فهل ينتظرون أحدًا يصدقها؟ أم أن النتيجة المطلوبة هي رفضها ورفض التشيع والأئمة معًا؟

وقال بعض علماء الشيعة: إن الميزان في توثيق الرواية ليس الراوي، وإنما إذا كانت روايته قد عمل بها ومشهورة في المذهب تكون مقبولة وتُعدّ حجة ولا حاجة بنا إلى علم الرجال[1]. وهؤلاء هم الإخباريون الذين يوثقون كل ما جاء غالبًا في كتب الحديث خاصة الكتب الأربعة. وقد نقض السيد الخوئي حجتهم. واحتج الطوسي نفسه (يعود له كتابان من الأربعة)، فذكر في كتابه الفهرست: «إن كثيرًا من المصنفين وأصحاب الأصول كانوا ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة»[2].

إن كتب حديث الشيعة التي دونها الكليني والطوسي وابن بابويه القمي ذكروا: أنهم دونوها عن كتب الأصول. فأين تلك الأصول؟ ولماذا لم تحفظ كما حفظت غيرها؟. قال البعض: إن كتب الأصول قد اندرست واستعاض الناس عنها بالكتب الأربعة[3]. واتجه كثير من فقهاء الشيعة ومحققيهم على اعتماد صحة ما ورد في الكتب الأربعة، وخاصة الكافي مثل ابن طاوس (رضي

(١) الخوئي. معجم رجال الحديث. ج١. ص ٣٥.
(٢) الطوسي. فهرست. ص ٢٤.
(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة. ج٢٠. ص ٧٥. و ص٣.

الدين)، والنجاشي والمازندراني (في شرحه للكافي)، بل ذهب القزويني إلى حد القول: إن الكافي مروي عن الإمام الصادق بلا واسطة، وإن جميع أخباره حق واجب العمل بها....[1].

وبخلاف ذلك، فإن جملة من العلماء الآخرين والأصوليين الشيعة لا يذهبون هذا المذهب، فلو أخذنا مثلاً الجزء الأول من كتاب الكافي، وهو متعلق بأبواب العقل والعلم والتوحيد والحجة لجمعنا الملاحظات الآتية:

١- إن ما يقرب من مئة وثمانين حديثاً في هذا الجزء يرويها علي بن محمد (أحاديث غيبة الإمام الثاني عشر)، فمن هو علي بن محمد؟ إن أكثر من واحد ممن عدوا في الضعفاء اسمهم علي بن محمد. وكذلك الحال في الراوي محمد بن إسماعيل.

٢- ورد في سلسلة الرواة لـ١٢٢ حديثًا فيها سهل بن زياد الرازي، حيث ضعفه النجاشي والطوسي وغيرهم بسبب كذبه، وإنه مرمي بالغلو، وأنه طرد من قم مع بقية الغلاة. وذكر الخوئي في معجم رجال الحديث، أنه قد ورد له في الكافي ٢٣٠٤ أحاديث؟

٣- هناك ١٧٢ رواية في هذا الجزء يرويها الكليني عن مجاهيل عن فلان؟ عمن سمعه؟،...

٤- هناك أكثر من عشرين راويًا ممن ورد ذكرهم في سند روايات الكليني في هذا الجزء كلهم مطعون فيهم من درجة الضعف إلى درجة الكذب والغلو وفساد المذهب، يمكن مقارنة أسمائهم بما ذكر عن بعضهم سابقًا.

(١) محمد أبو زهرة. الإمام الصادق. ص ٤٣٥.

والحقيقة التي يخرج بها الباحث المنصف عن رواة الشيعة حسبما وردت في مصادرهم سبقنا إليها رجل شيعي إمامي عربي متخصص في علم الرجال، وقد كتب كتابه المعروف برجال النجاشي.

كما أن تلك الشهادة اعترف بها أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري، ذلك هو الشيخ الطوسي، تلك الحقيقة المرة نقلها إلينا محمد هادي اليوسفي الغروي في مقدمته لكتاب رجال النجاشي، حاكيًا عن كتاب الفهرست عن الطوسي. قال: «... لأن كثيرًا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة، وإن كانت كتبهم معتمدة...»[1]. وعليك أن تفكر كيف تكون كتبهم معتمدة، وهي تصدر من أصحاب مذاهب فاسدة؟

(١) النجاشي. رجال. المقدمة ص٩.

obeikandl.com